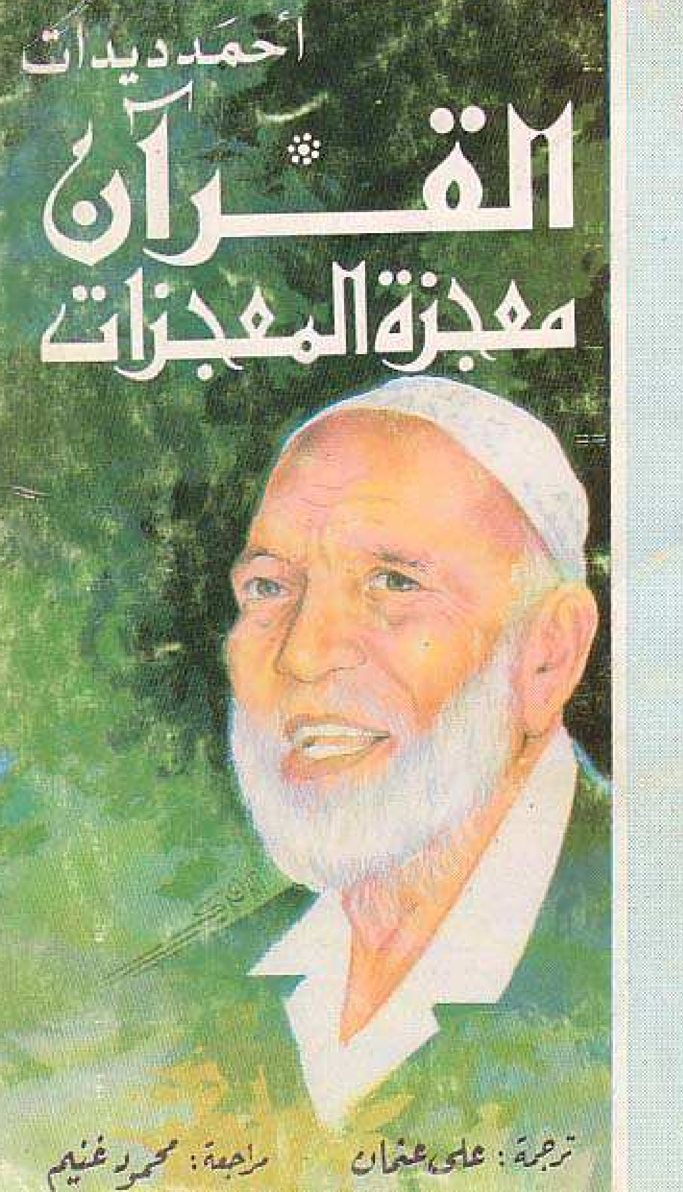


مكتبة ديدات

٢٠

المختار الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ومن سار على دربه وعمل بسنته والتزم بشريعته إلى يوم الدين

أما بعد فهذا كتاب الداعية الأستاذ الشيخ أحمد ديدات عن القرآن الكريم، معجزة الله الخالدة خلود الدهر، والدليل الدائم القائم على صدق دعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. وهو يحاول أن يقدم فى هذه العجالة للقارىء الكريم بعض البراهين والأدلة على هذا الإعجاز وهى كما يقول ليست إلا قطرة من بحر وقليل من كثير وتحتاج إلى جهد المختصين فى كل فروع العلم والمعرفة للكشف عن المزيد من كنوز وأسرار هذا الفيض الإلهى المتدفق دائما وأبداً بالخير الوفير وصدق الله العظيم حيث يقول "سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" ففى

كل زمن جديد تظهر آيات جديدة على إعجاز القرآن.
وكلما تقدم العلم تبين أن القرآن يتقدم عليه، وكلما حارت الألباب وجدت خلاصها فى القرآن وبالقرآن.
وتأمل هذا الوصف الشامل الجامع للقرآن الكريم الذى وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه:
«كتاب الله. فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولاتلتبس به الألسنة ولايشبع منه العلماء، ولا يخلَقُ على كثرة الرد(١) ، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا "إنا سمعنا

---

(١) أى لا يمل منه الإنسان من كثرة الترديد.

قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد" ، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم (رواه الترمزى).

فمع كتاب الداعية الأستاذ الشيخ أحمد ديدات «القرآن معجزة المعجزات» وقطرة من بحر.

محمود غنيم

الفصل الأول

القرآن معجزة المعجزات

قال الله تعالى فى كتابه الكريم:

"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الإسراء: ٨٨)

ماهى المعجزة؟

أعتقد أنه من الضرورى أن يكون لدينا صورة واضحة عن المقصود بالمعجزة. ونورد هنا بعض التعريفات:

١ ـ حدث لا يمكن تفسيره حسب قوانين الطبيعة، فيعزى إلى قوة خارقة، أو أنه من صنع الله القادر.

٢ ـ المعجزة هى شخص أو شىء أو حدث يثير الرهبة والرعب المقترن بالإعجاب.

٣ ـ هى فعل فوق طاقة البشر أى يستحيل حدوثه

بشريا.

ومن المنطقى أنه كلما كانت الاستحالة أشد كلما كانت المعجزة أعظم. فعلى سبيل المثال لو أن إنسانا ما لفظ أنفاسه أمام أعيننا وأخرجت له شهادة وفاة بواسطة طبيب مؤهل، وبعد ذلك يأتى رجل له سر روحانى أو قديس فيأمر الجثة أن تنهض، ولدهشة الجميع يقوم الرجل ويمشى، فإننا نسمى ذلك معجزة. لكن إذا حدث هذا البعث من الموت بعد أن ظلت الجثة ميتة لمدة ثلاثة أيام فإن المعجزة تكون أعظم وإذا بعث هذا الميت من قبره بعد عقود من الزمن أو قرون وبعد أن تحللت الجثة وتعفنت ولم يبق منها إلا العظام فسوف نعتبر هذه المعجزة هى الأعظم من بين كل هذه المعجزات.

سمة عامة:

هناك سمة عامة مشتركة لكل النوع الإنسانى منذ

العصور السحيقة، وهى أنه كلما ظهر رسول أو مرشد من قبل الله لتوجيه حياتهم حسب مشيئة الله وإرادته، فإنهم يطلبون منه أن يأتى بالمعجزات كدليل وبرهان على أنه حقا مرسل من قبل الله وذلك بدلا من أن يتبعوا رسالته لاقتناعهم بفضائلها وفوائدها لهم.

وعلى سبيل المثال فعندما بدأ المسيح يسوع عليه السلام يدعو قومه بنى إسرائيل إلى إصلاح سلوكياتهم وأن يقلعوا عن التمسك بمجرد الشكليات والطقوس الدينية وأن يتشربوا الروح الحقيقية للشريعة ولتعاليم الله، طالبه شعبه بالمعجزات ليبرهن لهم على صدق دعوته كما هو مسجل فى الكتاب المقدس المسيحى.

«حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية

يونـان النبى»[1] (مـتى: ١٢: ٣٨ ـ ٣٩)، وبالرغم من أن المسـيح عليـه السـلام رفض فى هذه المواجـهـة إجابتهم الى طلبهم الذى أرادوا به أن يمتحنوه عمليا، فإنه أنجز الكثير من المعجزات كما نعلم ذلك من خلال الانجيل.

فـالإنجـيل مملوء بالأحـداث الخـارقـة التى قـام بهـا الأنبيـاء بتفويض من الله. وفى الحقيقة فإن كل هذه الآيات والعجائب والمعجزات كانت بقدرة الله سبحانه وتعـالى. ولكن حيث أن هذه المعجزات قد تمت خلال عناصر بشرية فإننا نسميها معجزات موسى أو عيسى (عليهـمـا السـلام) لأنهـمـا همـا اللذان ظهرت على أيديهما هذه المعجزات.

سلوك مستمر

وبعد ستمـائة عام من مولد عيسى المسيح عليه السلام ولد محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله فى

(١) ماذا كانت آية المسيح الوحيدة التى أعدت لليهود. احصل علي نسختك المجانية من كتاب «ماهى معجزة يونان» من المركز الاسلامى بجنوب افريقيا.

مكة بالجزيرة العربية. وعندما بدأ يجهر بالدعوة فى سن الأربعين طالبه قومه من مشركى مكة كذلك بنفس الطلب، وهو الإتيان بالمعجزات كما فعل اليهود مع المسيح الذى وعدوا به فى كتبهم. نفس الشىء كأنه كتاب مدرسى مقرر، كما لو أن العرب أخذوها حرفيا عن الكتب المسيحية. التاريخ يكرر نفسه.

«وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه»[1]

(العنكبوت ـ ٥٠)

آيات أى آيات تريدون؟

«لقد صاح فى تعجب! معجزات؟ أى معجزات تريدون؟ ألستم أنفسكم هذه المعجزات؟ الله خلقكم وصوركم من طين تافه ألم تكونوا صغارا ضعافا؟ ألم تكونوا منذ سنوات قليلة عدما ليس لكم وجود؟

(١) تستخدم فى القرآن الكريم دائما كلمة آية بدلا من معجزة وهى أكثر دلالة على المعنى المراد.

فخلقكم فى أحسن هيئه وأعطاكم القوة والفكر. ألم يجعل فى قلوبكم الرحمة والشفقة بالصغير حتى ينمو ويكبر؟ ثم صرتم شيوخا وزحف الشيب إلى رؤوسكم. وتسلل الضعف إلى أجسامكم ثم انهارت قواكم تدريجيا وعدتم إلى العدم مرة أخرى ؟ يقول توماس كارليل «وجعل بينكم مودة ورحمة» هذه الفكرة أثرت فى كثيرا. إذا لم يخلق الله فى القلوب المودة والرحمة. ماذا سوف يكون الحال بالنسبة للجنس البشرى ؟ إنها فكرة مباشرة وعظيمة، لمحة فى الصميم لواقع الأمور»

(الأبطال وملاحمهم فى التاريخ) (لتوماس كارليل).

هذه الفكرة أثرت فى كثيرا

هذه الآية «وجعل بينكم مودة ورحمة» أثرت فى نفس توماس كارليل كثيرا عندما تمعن فيها من خلال ترجمته الانجليزية وأنا هنا أقدم هذه الآية التى حركت

عاطفته «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (الروم ـ ٢١).

هذه الآية قام بترجمتها كل من يوسف على وهو مسلم والقس ج، م دويل وهو مسيحى، ن. ج داوود وهو يهودى عراقى. وكلها ترجمات جيدة ولكنها لا تصل الى روعة النص الأصلى. وللأسف فإن توماس كارليل لم ير أيا من هذه الترجمات لأنهم جميعا لم يكونوا قد جاءوا إلى هذا العالم فى العصر الذى عاش فيه توماس كارليل.ولكن كان المتاح لديه فى سنة ١٨٤٠ كما قال فى صفحة ٨٥ من كتابه مشيرا الى ذلك:

«نحن أيضا نستطيع أن نقرأ القرآن. الترجمة الانجليزية التى قام بها جورج سال معروف أنها واضحة ومقروءة».

الإساءة كانت هى الدافع

كارليل كان شديد التلطف فى الحكم على مواطنيه. فقد كانت الدوافع لجورج سال الذى مهد للقيام بترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية موضع شك. لم يكبح سال جماح عدائه لكتاب الإسلام المقدس ويجعله سرا. ففى مقدمته للترجمة التى قام بها فى عام ١٧٣٤ جعل من المعروف أن الهدف الواضح له من هذه الترجمة أن يكشف عن هذا الرجل محمد وتزييفه، حيث يسجل.

«من الذى كان يدرك أى خطورة تكمن فى مثل هذا التزييف الواضح؟ البروتستانت وحدهم هم الذين يستطيعون مهاجمة القرآن بنجاح . وأنا واثق أن العناية الإلاهية ادخرت لهم شرف هزيمته وتدميره ».

ثم بدأ العمل فى هذه الترجمة المغرضة. وتستطيع أن تحكم بنفسك هل كان جورج سال عادلا وموضوعيا

حتى بالنسبة لهذه الآية التى حركت مشاعر توماس كارليل؟ فقد ترجم "لتسكنوا إليها" إلى "لكى تتعايشوا معهم على طريق الأزواج" Ye May cohabit with them قارن هذه الترجمة بترجمة المسلم يوسف على أو المسيحى القس ردويل أو اليهودى داوود على الترتيب:

"Ye May dwell in Tranquillity with them"

Ye May dwell with them

Ye Maight live in joy with them

لا أعتقد أن جورج سال كان خنزيرا شوفانيا ليصف زوجاتنا رفيقاتنا وقريناتنا على أنهم مخلوقات جنسية. لقد كان فحسب يبر بوعده فى الإساءة للإسلام والتى لم يلتفت اليها توماس كارليل فالكلمة العربية التى حرفها (سال) هى «لتسكنوا» وهى تعنى لتجدوا السلام والسلوى والهدوء. وليست Co-habit والتى تعنى «لتعيشوا معا فى علاقة جنسية

حينما لا يكون زواجا قانونيا» كما جاء فى شرح هذه الكلمة فى القاموس الجامع المختار (ريدرز وايجست ينيفرسال ديكشينارى) كل كلمة فى النص الأصلى للقرآن الكريم اختيرت بدقة متناهية وأخذت موضعها بحكمة الله القدير فالكلمات تحمل معانيها من قبل الله وهى معجزة من معجزاته وفيض من روحانية القرآن.

السؤال عن آية

أى آيات؟ إنهم يقصدون بعض الأنواع الخاصة من الآيات أو المعجزات بحسب ماتمليه عليهم عقولهم الفارغة. كل شىء ممكن بالنسبة لقدرة الله. لكن الله لن يساير حماقات الرجال أو يستمع الى مطالبهم الجوفاء. إن الله يرسل الرسل ليبينوا للناس آياته فى الخلق وفى الكون ويحذرهم من الاستمرار فى العنت والجحود. أليس هذا كافيا؟

اتجاه الناس عامة فى طلب المعجزات كالآتى:

فى عبارات محددة طلبوا من محمد عليه الصلاة والسلام أن يضع سلم ويصعد فيه إلى السماء ويحضر كتابا من عند الله وذلك أمام أعينهم «ثم بعد ذلك يمكن أن نؤمن» كما قالوا أو «هل ترى الجبل القائم هناك حوله الى ذهب» أو «فجر لنا الينابيع فى الصحراء عند ذلك يمكن أن نؤمن».

والآن استمع الى الإجابة المنطقية الهادئة الرقيقة لمحمد صلى الله عليه وسلم فى مواجهة مطالب المشركين غير العقلانية والدهرية الممتلئة بالريبة «قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون»

(الأنعام- ٥٠)

واستمع أيضا الى إجابة أكثر تحديدا كما أمره الله

ليقولها للمشركين» «قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين».

(العنكبوت ـ ٥٠)

وفى الآية التالية يشير نبى الله إلى القرآن الكريم على أنه الإجابة والآية الكافية الشافية على طلباتهم المصطنعة المتكلفة للمعجزات التي تشتهيها عقولهم الوثنية الحمقاء. وفى الحقيقة فإن كل المعجزات هى آيات دالة على صدق الرسالة ولكن الجحود للحق الواضح والإلحاد المسيطر على القلوب هو الذى يدفعهم الى هذه الطلبات. لذلك وجههم الله إلى التدبر فى القرآن "أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون" (العنكبوت ـ ٥١).

دليلان:

كدليل على الإبداع الإلهى، والطبيعة الإعجازية

للقرآن الكريم يقدم الله سبحانه وتعالى لنا دليلين على صدق الدعوة وأنها من عند الله:

١ ـ يقول الله تعالى «وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ومايجحد بآياتنا إلا الكافرون، وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون» (العنكبوت ٤٧ ـ ٤٨).

فالله سبحانه وتعالى يقرر أنه هو الذى أنزل الكتاب على محمد الأمى الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم، مع كل مافيه من الآيات والعلوم والتاريخ والحكمة والمعرفة وأخبار السابقين واللاحقين، أليست هذه آية وأليس هذا إعجاز!

لندع توماس كارليل المفكر الإنجليزى يعطى شهادته فيما يتعلق بالمؤهلات العلمية لمحمد (صلى الله عليه وسلم):

«هناك اعتبار آخر يجب ألا نغفله أو ننساه، وهو أنه لم يكن لديه أى تعليم مدرسى مما نسميه التعليم المنهجى على الإطلاق». والأكثر من ذلك أن الله جلت قدرته منزل هذا الوحى يشهد أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ليستطيع أن يصنف أو يجمع مافى هذا القرآن من محتويات، ولا يمكن أن يكون مؤلفه.

«وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون» (العنكبوت ـ ٤٨).

فالله سبحانه وتعالى صاحب الوحى القرآنى يقدم لنا الحجج والبراهين أنه لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا متعلما، وكان قادرا على القراءة والكتابة، ففى هذه الحالة فإن الثرثارين فى الأسواق يكون لهم بعض العلة فى الشك بأن هذا القرآن هو كلمة الله. إذا كان محمد (صلى الله عليه وسلم) رجلا متعلما فإن

اتهامات أعدائه بإحتمال أن يكون قد نسخ كتابه (القرآن) من كتابات اليهود والمسيحيين موضوع نقاش. بل ربما يكون قد درس أرسطو وأفلاطون أو أنه أخذ من التوراة والزبور والإنجيل وأفرغها جميعا فى قالب جديد بلغة جميلة، ربما كان لهذا الكلام بعض الوزن لو كان محمد رجلا متعلما ومن ثم يكون المتكلمون بالباطل قد سجلوا نقطة. ولكن حتى هذا الادعاء الركيك قد حيل بينه وبين المنكرين والمتهكمين إنها فريه من الصعوبة بمكان أن تعلق بها حتى ذبابة(١).

٢ ـ أما الدليل الآخر فهو الكتاب. نعم الكتاب نفسه يحمل دليله الذى يبرهن على أنه وحى إلهى من عند الله. إدرس الكتاب من أى زاوية، تفحص، دقق،

---

(١) لم يترجم الإنجيل إلى اللغة العربية حتى القرن العاشر الميلادى ولذلك فليس هناك أى عربى حتى سنة ١٠٠٠ لديه الفرصة لفحص الكتابات المسيحية الإنجلية بلغته العربية

أمعن النظر، لماذا لا تأخذ تحدى الله للبشرية بأن يأتوا بمثله مأخذ الجد إذا كانت شكوكك لها مايبررها ؟

"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" (النساء: ٨٢)

إتساق القرآن

لا يستطيع إنسان أن يتصور أن مؤلفا بشريا يظل مستقرا على تعاليمه وتبشيره لأكثر من عقدين من الزمان. منذ أن كان في الأربعين من عمره ـ عندما تلقى محمد صلى الله عليه وسلم النداء الأول من السماء ـ وحتى بلغ الثالثة والستين من عمره عندما صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ـ أى لمدة ثلاثة وعشرين سنة ـ والرسول الكريم يطبق الإسلام ويدعو إليه. وخلال هذه الثلاثة والعشرون سنة مر خلال أكثر الظروف المتقلبة تعارضا فى حياته. أى رجل فى أثناء مراحل رسالة كهذه ستجبره الظروف لعمل تغييرات أو

تعديلات أساسية ولا يستطيع إلا أن يناقض نفسه. لا يستطيع أحد أن يقول نفس الشيء دائما كما فى رسالة القرآن الكريم المتسقة والمنسجمة دائما مع نفسها من أولها الى آخرها.

أم أن اعتراضات المكذبين هى مجرد جدال يتصف بالجموح والتمرد ضد هداية أرحب ونور أسطع وعدالة أكثر؟

والأكثر من ذلك فالقرآن الكريم يحوى ويذكر معلومات كثيرة عن طبيعة الكون والتى لم تكن معروفة للإنسان من قبل والتى أكدها بعد ذلك تطور الاكتشافات العلمية الحديثة تباعا وبطريقة قاطعة. وفى مجال الظواهر الكونية، كان من المؤكد أن يقع عقل رجل أمى غير مثقف فى الكثير من الأخطاء الشديدة، ويضيع وهو يخمن بين متناقضاتها الموحشة. ولكنه وحى الله العليم القدير وليست

قدراته البشرية المحدودة.

معجزة فى حد ذاته

المرة بعد المرة عندما كانت تطلب المعجزات من نبى الله من أولئك النفر من المتهكمين والمستهترين كان يشير الى القرآن رسالة السماء ومعجزة السماء. «معجزة المعجزات». العقلاء من الرجال ذووا النفوس والقلوب الحية، الذين كانوا صادقين مع أنفسهم وصادف القرآن نورا فى قلوبهم وشفافية فى أرواحهم عرفوا الحق فقبلوه. فكان القرآن لهم معجزة الله الخالصة يقول الله تعالى فى كتابه الكريم:

"بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون" (العنكبوت ـ ٤٩)

الفصل الثانى

الوحى القرآنى والعلم

عبارات الثناء بعيدا عن الحقد

يوجد اليوم فى العالم أكثر من ألف مليون مسلم يتقبلون القرآن الكريم بلا تردد على أنه معجزة الله وكلمته.

ولم لا يفعلون ونحن نرى حتى الأعداء المعروفين للإسلام يكيلون عبارات الثناء من تلقاء أنفسهم فيما يتعلق بالطبيعة الإعجازية لهذا الكتاب الإلهى. يقول القس دريف بوسوبرث سميث فى كتابه محمد والمحمدية[1] عن رأيه فى القرآن الكريم:

أ ـ «معجزة فى النقاء وفى الأسلوب وفى الحكمة وفى الصدق».

وكاتب انجليزى آخر أ. ج آربرى فى مقدمة

---

(١) لايوجد شىء اسمه المحمدية أو المحمديين ولكن الاسلام والمسلمين.

ترجمته الانجليزية للقرآن الكريم يقول:

ب ـ «كلما سمعت القرآن يتلى أحسست كأنما أستمع الى موسيقى ومن خلال اللحن المتدفق يوجد سبر الأغوار ايقاع مستمر فى اصرار كأنه دقات الطبل. انه كدقات قلبى».

من هذه الكلمات وبقية كلمات المقدمة يبدو آربرى كأنه مسلم ولكنه مع شديد الأسف مات خارج نطاق الإسلام.

وكاتب بريطانى آخر مارمادوك بيكتول يصف فى مقدمة ترجمته الانجليزية للقرآن شعوره حين سماع القرآن فيقول:

جـ ـ «هذه السيمفونية الفريدة. كل صوت فيها يحرك فى الإنسان الوجد والدموع».

هذا الكاتب اعتنق الإسلام قبل أن يترجم القرآن ولسنا هنا فى مجال التحقق ما إذا كان قد أحس بهذا

الشعور قبل أو بعد أن يتحول إلى الإسلام.

د ـ «بعد الإنجيل مباشرة[1] يعتبر (القرآن) أكثر الكتب الدينية توقيرا وقوة» (ج كريستى ويلسن فى كتابه تعريف بالاسلام ـ نيويورك ١٩٥٠).

هـ ـ «القرآن هو إنجيل المحمديين وهو أكثر توقيرا من أى كتاب مقدس آخر سواء العهد القديم اليهودى أو العهد الجديد المسيحى» (چ شليدى. د. د فى كتابه السيد المسيح فى القرآن) سنة ١٩١٣ ص ١١١.

نحن نستطيع بسهولة اضافة عشرات أخرى من عبارات الثناء الى القائمة السابقة. الأصدقاء والخصوم على السواء يكيلان المديح دون حقد للوحى الإلهى النهائى والأخير «القرآن الكريم». المعاصرون لمحمد صلى الله عليه وسلم رأوا فى جماله وجلاله، ونبل دعوته ورحابة رسالته، آية ومعجزة من صنع الله

(١) كلمات ناقد مسيحى للاسلام وسوف لا نعلق على وصعه القرآن فى المرتبة الثانية.

سبحانه وتعالى ودخلوا فى الإسلام. المتشككون والماديون سوف يقولون عن كل هذا الثناء وكل هذه الشهادات أنها مشاعر ذاتية. بل يمكن أن يبحث عن مهرب فى ادعاء أنه لا يعرف العربية. يمكن أيضا أن نسمعه يقول «أنا لا أرى ماتراه ولا أحس بما تحس به كيف يمكننى أن أعرف أن الله موجود وأنه هو الذى أوحى بهذه الرسالة الجميلة الى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (القرآن)؟ ويستمر فيقول «أنا لست كاره لفلسفته الجميلة ولا لآدابه العملية وروحانيته العالية. إننى مستعد للتسليم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا مخلصا وأعطى أسسا عظيمة لسعادة البشرية ولكن الذى لا أستطيع أن أسلم به هو لماذا تدعون أنتم المسلمين أن هناك سلطة علوية هى التى تملى عليه الأوامر؟.

منطق له أسبابه

مثل هذا النوع من التفكير المتعاطف مع تعاليم

الاسلام ولكنه متشكك عقليا فى مصدره. فإن منزل القرآن (الله) سبحانه وتعالى استخدم أنواعا مختلفة من البراهين لإزالة هذا الشك. فبالنسبة للملحدين واللاأدريين والشكاكين الذين تثقفوا ثقافة علمية عالية ويعتبرون أنفسهم عمالقة الفكر ـ وهم فى الحقيقة أقزام ناقصو النمو ـ إنهم مثل قزم اكتسب نموا غير عادى فى أحد الاتجاهات الخاصة على حساب الأجزاء الأخرى من قدراته الشخصية أو الجسدية. كرأس ضخم مثلا على جسم ضئيل. والخالق الأعظم يسألهم سؤالا. ولكن قبل أن نطرح سؤال الله عليهم دعنى أشبع فضولى وأقول لهم «أنتم يارجال العلم الذين درستم علوم الفلك ودرستم الكون الخارجى من خلال المنظار المكبر والذى يجعلها واضحة كأنكم تفحصون شيئا فى راحة يدكم، هل لكم أن تخبرونى كيف كانت بداية هذا العالم؟ رجل العلم هذا بالرغم من

أنه يفتقر إلى الناحية الروحية فإنه أكثر كرما فى المشاركة بمعلوماته. سوف يلبى فى الحال: «حسنا لقد بدأ منذ ملايين السنين حيث كان هذا العالم كتلة واحدة من المادة ثم حدث انشطار كبير فى مركز هذه الكتلة الضخمة من المادة. وبدأت أجزاء هذه الكتلة تتناثر فى جميع الاتجاهات. من هذا الانشطار الكبير تكونت مجموعتنا الشمسية وكذلك بقية المجموعات الشمسية والمجرات. ومنذ ذلك التاريخ لم يحدث أى اضطراب أو تغيير فى الكون لهذا الزخم الأصلي الناتج عن هذا الانفجار الأولى وظلت النجوم والكواكب تسبح فى الفضاء كل فى مداره الخاص به.

وعند هذه النقطة داعبتنى الذاكرة فأصحابنا الماديون يبدو أنهم استقوا معلوماتهم هذه سرا من سورة ياسين.

«والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون» (ياسين: ٣٨: ٤٠).

العالم الملحد يستمر فيقول: «عالمنا عالم متمدد، الأجرام السماوية الأخرى تبتعد عنا بمعدل متزايد سيصل فى وقت ما إلى معدل سرعة الضوء. وعند ذلك سوف لا يكون في استطاعتنا رؤيتها مرة أخرى. يجب علينا أن ننشىء تلسكوبات أكبر وأقوى بأسرع مايمكننا لدراسة هذه المجرات. وإلا فقدنا الاتصال بها نهائيا. نحن نسأل: «متى استطعتم اكتشاف هذه الحكايات الخرافية؟».

ولكن صاحبنا يؤكد «هذه ليست حكايات خرافية. إنها حقائق علمية» ونحن نجيب «حسنا فنحن نتقبل الحقائق العلمية التى ذكرتها ولكن قل لنا حقيقة متى

عثرتم على هذه الحقائق؟» وهو يجيب «بالأمس فقط». على كل حال فخمسون سنة تعتبر بالأمس فى عرف التاريخ الإنسانى.

عربى غير متعلم أمى عاش فى الصحراء منذ ١٤٠٠ سنة هل يمكن أن يكون لديه أى معلومات عن هذا الإنفجار الكبير أو عن عالمك الذى يتمدد ؟ هل يمكن أن يخبرنا من تلقاء نفسه شيء من ذلك وهو يجيب فى سرعة وحسم «لا أبدا».

«حسنا» إذاً فلتصغى إلى ماتفوه به هذا النبى الأمى من تلقين الوحى:

"أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" (الأنبياء ـ ٣٠)

"وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون" (الأنبياء ٣٣)

نظرية الانشطار الكبير:

ألست ترى معى أن كلمة (الذين كفروا) فى الآية السابقة هى وصف لكم أنتم أيها العلماء والجغرافيون والفلكيون. لأنكم بعد أن قمتم بهذه الاكتشافات المدهشة وقدمتموها للإنسانية لازلتم عميانا لاترون خالقها؟

يقول توماس كارليل «مع علومنا ودوائر معارفنا فنحن عرضة لأن ننسى الخالق فى معاملنا هذه».

كيف يمكن لراكب جمل فى الصحراء أن يلتقط اكتشافاتكم هذه منذ ١٤٠٠ سنة إلا من عند صاحب الانشطار الكبير نفسه؟

أصل الحياة

«وأنتم ياعلماء علوم الحياة (البيولوجيين) ويامن تبدون أنكم وضعتم أصابعكم على أصل الحياة العضوية ومع ذلك تخاطرون بإنكار موجد أصل هذه

الحياة أعنى الله.. أخبرونى تبعا لأبحاثكم المزدهرة كيف وأين بدأت الحياة؟». مثل زميله فى العلم ـ الفلكى الملحد ـ يقول أيضا «حسنا منذ بلايين السنين تكونت مادة الخلية الأولى فى البحر من تولد البروتوبلاست والتى جاءت منها الأميبا ومن هذه الحمأة فى البحر جاءت كل الأحياء. بكلمة واحدة فإن الحياة كلها نشأت من البحر، يعنى الماء!»

وأنا أسأل «متى اكتشفتم هذه الحقيقة، أن كل الكائنات الحية أصلها من الماء؟» والإجابة لا تختلف عن زميله العالم الفلكى «بالأمس».

وأنا أسأل «هل يمكن لعالم أو فيلسوف أو شاعر أن يخمن اكتشافكم البيولوجى هذا من أربعة عشر قرنا مضت. هل يستطيع؟» وهو يجيب «لا أبدا».

«حسنا» إذاً فاستمع إلى ابن الصحراء الأمى!

"وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون"

(الأنبياء ـ ٣٠).

والآية السابقة فصلت فى موضع آخر من كتاب الله "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شيء قدير"

(سورة النور ـ ٤٥)

ليس من الصعب عليكم أن تلاحظوا أن هذه الكلمات من خالق الكون القدير العليم هى موجهة إليكم أنتم رجال العلم كرد على المذهب الارتيابى اليوم. الأهمية الحقيقية لهذه الكلمات تتجاوز مكان الصحراء منذ ألف وأربعمائة عام. الله القدير بهذه الكلمات يخاطبكم أنتم يارجال العلم كيف لا تؤمنون بالله؟ يجب أن تكونوا آخر من ينكر وجوده ولكنكم أول من يفعل ذلك! ماذا دهاكم لكى تسمحوا لغروركم كى يغشى أبصاركم عن رؤية الحقائق المنطقية الجلية فى مجال علمكم؟

ولعلماء النبات وعلماء الحيوان وعلماء الطبيعة الذين يهينون نفاذ بصيرتهم المذهل فى طبيعة الأشياء برفضهم الاعتراف بالإله الخالق. دعهم إذن يفسرون مانطق به محمد صلى الله عليه وسلم الناطق بوحى من الله:

"سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون" (يس ـ ٣٦)

(خلق الأزواج كلها) إن الطبيعة أو النظام أو السر الجنسى يجرى على كل المخلوقات، فى الإنسان والحيوان والنبات وأشياء أخرى لازلنا نجهلها. إذن هناك أزواج من القوى المتعاكسة فى الطبيعة مثل الكهرباء الموجبة والسالبة. الذرة نفسها تتكون من شحنات موجبة فى النواة وهى البروتونات وشحنات سالبة تحيط بها فى مدارات وهى الإلكترونات. تكوين المادة نفسها يشير إلى وجود زوجين من الطاقات

المتعاكسة» (تعليق يوسف على).

آيات الله:

آيات هذا الكتاب الواضح السهل (القرآن الكريم) تقيم من نفسها شاهدا ذاتيا على صحتها. والمتتبعون للقرآن يرون آيات الله فى كل اكتشاف يصل إليه الإنسان. هذه هى آيات ومعجزات الله الرحيم العزيز ليزيل الشك ويثبت الإيمان.

"إن فى ذلك لآيات للعالمين" (الروم ـ ٢٢)

يا لقوة التعبير "العالمين" أى العلماء والذين هم فى الحقيقة متمردون عصاه فقد ملأتهم معرفتهم المادية الضخمة بالزهو والغرور إنهم يفتقرون إلى التواضع الحقيقى الذى ذهب فى الواقع مع المعرفة الحقيقية.

من كلمات كاتب فرنسى حديث

«هذه الملاحظات السابقة (يقصد التى أوردها فى الصفحات السابقة من كتابه) تجعل من تقدم الفرضية

الظنية لؤلئك الذين يرون أن محمدا هو مؤلف القرآن شىء يتعذر الدفاع عنه. كيف يمكن لإنسان غير متعلم أن يصبح أهم مؤلف فى ميدان الجدارة والأهلية والتفوق اتفاقا من بين كل من كتب وألف فى الثقافة العربية؟

كيف يمكن أن ينطق بحقائق فى العلوم الطبيعية التى لم يكن هناك إنسان يعرف عنها شيئا فى هذا الوقت وكل ذلك بدون أدنى خطأ فيما قاله فى هذا الشأن؟ ».

(كتاب نظرات فى الإنجيل والقرآن والعلم ص ١٢٥) للمؤلف الفرنسى موريس بوكال

الإلهام المبكر

لقد وضع بذور هذا الكتاب ـ القرآن معجزة المعجزات ـ سفير الإسلام المتجول والملقب بالخطيب ذو اللسان الفضى مولانا عبدالعليم صديق. كنت لاأزال

طالبا حينما زار جنوب أفريقيا كمحاضر متجول فى سنة ١٩٣٤. وخلال محاضرته القيمة الثرية بالمعرفة سمعته يتحدث فى موضوع «إنشاء وتعهد المسلمين للعلوم». وفيما بعد أصدر «اتحاد المراكز الإسلامية بكراتشى بباكستان» كتيبا فى نفس الموضوع مما أعاد إلى البهجة والإثارة التى أحدثها لى سماعى لها الأول فى صباى المبكر. ومما علق بذاكرتى مما قاله هذا الخادم العظيم للإسلام أقدم هنا للأجيال القادمة كلها قليل من الكلمات التى قالها مولانا فى العلاقة بين القرآن الكريم وسائر فروع المعرفة العلمية:

القرآن يحض على تعلم العلوم

الحض المستمر للقرآن الكريم على دراسة العلوم الكونية هو ظاهرة منفردة بين كل الكتب الدينية فى كل العالم فهو يوجه انتباهنا بالإلحاح إلى التعمق فى معرفة الظواهر الطبيعية المختلفة التى تدور حولنا.

والإلحاح على هذه الموضوعات يحث المسلمين على أن متابعة هذه العلوم هى واجبات دينية فى حقهم. إن هذا التكرار هو تأكيد للحقيقة الكبرى، والغير معروفة لعالم ماقبل القرآن، وهو أن كل شيء فى الطبيعة مسخر لخدمة الإنسان ويجب أن يستخدمه لخدمته ومصلحته. إنه يحثنا على أن ندرس تركيب ووظائف أعضاء الجسم البشرى، وتركيب ووظائف أعضاء وتصنيف الحيوان، وشكل وتركيب ووظائف أعضاء وتقسيم وتصنيف النباتات، وهى مسائل علم الحياة والأحياء.

وهو يحثنا على دراسة تفسير النظم الطبيعية والخواص العامة للمادة عند تأثير الطاقة عليها وهى مسائل علم الطبيعة.

ويحثنا على دراسة خواص جوهر المادة سواء كانت عنصرا أو مركبا والقوانين الخاصة باتحادها وتفاعل كل

منها مع الآخر. وهى مسائل علم الكيمياء.

وهو يحثنا على دراسة التركيب المعدنى للكرة الأرضية وطبقاتها المختلفة والتغيرات التى تحدث فى مكوناتها العضوية وغير العضوية وهى مسائل علم الجيولوجيا.

وهو يحثنا على دراسة الوصف العام للكرة الأرضية، وتقسيماتها الطبيعية من بحار وأنهار وجبال وسهول، والمعادن والنباتات والحيوانات على الأرض، وأقسامها السياسية وهى مسائل علم الجغرافيا.

وهو يحثنا على دراسة أسباب ظاهرة حدوث الليل والنهار واختلاف الفصول، وحركة الكواكب والظواهر الكونية الأخرى، وهى مسائل علم الفلك.

وهو يحثنا على دراسة حركة الرياح وتكون السحاب وسقوط الأمطار والظواهر الأخرى المماثلة

وهذه ليست إلا موضوعات علم الأرصاد الجوية.

لقرون عدة كان المسلمون هم قادة العالم فى حقل المعرفة العلمية. ثم تدريجيا بدأت هذه الزعامة تخرج من أيديهم. تراجع المسلمون عن مهمة القيام بهذه القيادة، وتقدم الأوربيون الماديون لملء هذا الفراغ لهذه القيادة والتى أوجدها المسلمون.

وعلاوة على ماتقدم فقد سجل مولانا الشيخ عبدالعليم مآثر ومساعى المسلمين فى هذا المجال فقال:

إن الثورة العلمية التى فجرها الإسلام كانت عملاقة فلم يترك المسلمون ناحية واحدة من نواحى العلوم إلا وطرقوها ووصلوا فيها إلى مكانة عالية مرموقة.

وفي الحقيقة فإن الإسلام يهدف إلى جعل المجتمع الإسلامى مجتمع فكر وثقافة. ووضع بذور العلم، وسائر فنون المعرفة، يعتبر هدفا رئيسيا للإسلام.

ولولا المسلمون لما عرفت أوربا طريقها إلى عصر النهضة الأوربية ولما بزغ فجر النهضة العلمية الحديثة. إن الأمم التى أخذت معرفتها العلمية من أوربا هى فى الحقيقة أخذتها بطريق غير مباشر من المجتمعات الاسلامية والانسانية كلها مدينة للإسلام بدين لا تستطيع أن توفيه وبجميل لا تقدر علي نسيانه».

الخطيب ذو اللسان الفضى (مولانا) إختتم شرحه التفسيرى الرائع لموضوع «المسلمون هم الذين وضعوا بذور العلم» بهذه الكلمات. «قبل أن أصل إلى ختام هذه الكلمات دعونى أؤكد مرة أخرى أن المجتمع الإسلامى هو الذى يمثل الإسلام بمعنى الكلمة وهو بدوره وحيا إلهيا. والذى يكون شخصية المسلم هو الايمان والعمل معا، لقد وضعها الإسلام كواجب من واجبات الدين أن يبحث المسلم فى حقيقة الأشياء المحيطة به. لأن بحث المسلم العلمى فى معرفة

المخلوقات يؤدى إلى زيادة المعرفة والايمان بالخالق. والبحث العلمى فى الاسلام لا يمثل هدفا نهائيا فى حد ذاته ولكنه وسيلة لغاية أعظم وهى فى الحقيقة الهدف الأسمى الحقيقى للإنسانية. «إنا لله وإنا إليه راجعون» (البقرة ١٥٦)

محاضرتى التى أجهضت

لقد كان لى شرف سماع هذه المحاضرة السابقة سنة ١٩٣٤ من شفتى الأستاذ نفسه وفى أواخر الثلاثينات حصلت على المحاضرات فى صورة كتاب فى يدى. فتذكرت مافيه وكان قد أضيف اليه بعض الملاحظات والتعديلات، وكنت فى هذا الوقت أعمل فى محل لأحد المسلمين فى مركز آدم التبشيرى وكنت لا أزال متحمسا لدرجة أنى وضعت الترتيبات مع كلية آدم لأتحدث مع التلاميذ والمحاضرين فى نفس هذا الموضوع. فى هذا الوقت لم يكن لدى الإحساس

الكامل بفداحة ماأنوى القيام به، ولكنى لم أعرف أبدا على وجه اليقين ماالذى حدث لكى يأتى رئيسى فى العمل لينقذنى على حد قوله. لقد هددنى بطردى إذا لم أتراجع عن أول محاضرة عامة لى. واستسلمت فى أول الأمر ولكنى حنثت بوعدى بعد ذلك خلال سنوات عمرى التالية. لقد كان مستخدمى يجهل دون شك تحذير الله وكذلك كنت أنا أيضا. لا أستطيع أن أقول الآن ماهو الموقف الذى كنت سأتخذه لو كنت أعلم قول الله تعالى "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين" (التوبة ـ ٢٤).

شكرا (؟) لأخى الرعديد مخلوع الفؤاد الذى جعل محاضرتى الأولى للمبشرين المسيحيين والقسيسين المتدربين ـ والتى اجتهدت فى الإعداد لها وحفظها

والتدريب عليها تحبط. ومنذ ذلك الحين توقفت عشر سنوات فى مجال الدعوة العامة. هناك ملايين من المسلمين مثل رئيسى المسلم الذين يصابون بالرعب خوفا على المكاسب المادية التى ذكرت فى الآية السابقة وهم لا يقومون بواجبهم فى توصيل الدعوة الإسلامية فحسب بل يعترضون طريق أولئك الذين لديهم الاستعداد للقيام بهذا العمل. إنهم يبدون وهم يحملون أعظم رسالة كأنهم بلا فائدة. الله سبحانه وتعالى وصف هؤلاء بأنهم «فاسدون آثمون».

الارتفاع إلى مستوى المسئولية

فى الحديث السابق لمولانا الشيخ عبدالعليم شد انتباهنا إلى أن القرآن الكريم يحثنا على التعمق فى علوم الأحياء والطبيعة والكيمياء وطبقات الأرض والأرصاد الجوية إلى آخر هذه العلوم. والدارسون مثل موريس بوكال وكيث مور والشيخ زندانى كتبوا عن وجوه علمية مختلفة فى القرآن الكريم فى الأزمنة

الحديثة ولكن المجال لايزال واسعا فالقرآن الكريم بحر من المعرفة. يجب على العلماء المسلمين المتخصصين أن يرتفعوا إلى مستوى المسئولية التى ألمح إليها مولانا فى منتصف الثلاثينات. وليس عليهم أن يكافحوا فى كل مجال بل كل فى مجال تخصصه. شباب الإسلام متلهف إلى المعلومات والمقالات وكتيبات صغيرة فى الموضوعات العلمية المختلفة لإرضاء شهيتهم. ويمكن أن تكون هناك دائرة معارف بعد ذلك إن شاء الله.

وليس على أن أعتذر لتركى شرح الموضوعات العلمية فى القرآن الكريم للعلماء المسلمين حيث أنى غير متخصص. ولكن إذا لم يتقدم أحد من المسلمين ليشرح لنا كنوز الحكمة المدخرة التى يزخر بها القرآن الكريم فإننى من جهتى وكشخص عادى غير متخصص فى العلم سوف أشارك معكم الطبيعة الإعجازية فى القرآن كما تظهر لى فى الحقائق البسيطة والعادية.

الفصل الثالث

القرآن فريد فى صياغته

بين كل الآداب الدينيــة الموجـودة فى العــالم فـإن القـرآن الكريم كتـاب فـريد بصـورة مطلقة. صـيـاغـتـه وحـفظه مـعـجـزتان. لأنه يعلو على النمط البشـرى العـادى فى الكلام. قـصـار النظر والمتـخـذين مـوقـفـا عـدائيـا يقـولون أنه مـفكك ومـتـقطع ولكنه نموذج مـختلف على نحو محدد فريد ومعجز. دعنى أعطى بعض الأمثلة المحسوسة لما أقول:

كل الكتـب الدينيـة تبـدأ بعـبارة على نمط «حـدث ذات مرة» أو «الثعلب والعنب.. أو الذئب والغنم» إلى آخر هذه التعبيرات

١ ـ أ ـ فى البـداية (حـدث ذات مـرة) الرب خلق الســمــاوات والأرض (ســفــر التكوين ١:١ الكتــاب المقدس)

ب ـ فى البداية (حدث ذات مرة) كانت الكلمة والكلمة كانت مع الرب والكلمة كانت الرب (انجيل يوحنا ١:١ الكتاب المقدس)

جـ ـ هذه هى بداية النسب (الأصل ـ البداية) الذى يخص عيسى المسيح بن داوود بن ابراهيم (انجيل متى ١:١ الكتاب المقدس)

٢ ـ الآن بعد موت موسى عبدالرب حدث أن (حدث ذات مرة) الرب تحدث إلى يوشع (يوشع ١:١ الكتاب المقدس)

٣ ـ الآن بعد موت يوشع حدث أن (حدث ذات مرة) بنى اسرائيل سألوا الرب (سفر القضاه ١:١ الكتاب المقدس)

٤ ـ حدث فى الأيام (حدث ذات مرة) عندما حكم القضاه مجاعة فى الأرض (سفر راغوث ١:١ الكتاب المقدس)

٥ـ الآن كان هناك رجل محدد (حدث ذات مرة) من راماتام جوفيم من جبل افرايم (صموئيل الأول ١:١ الكتاب المقدس)

٦ـ حدث (حدث ذات مرة) بعد موت شاول (صموئيل الثانى ١:١ الكتاب المقدس)

٧ ـ الآن (حدث ذات مرة) الملك دافيد أصبح كهلا (أصيب ببرد) وطاعنا فى السن غطوه بالملابس ولكنه لم يكتسب أى حرارة (الملوك الأول ١:١ الكتاب المقدس)

٨ ـ الآن (حدث ذات مرة) فى السنة الأولى لكسرى ملك الفرس (عزرا ١:١ الكتاب المقدس)

٩ ـ الآن حدث (حدث ذات مرة) فى أيام الأشوريين (سفر سيثمر ١:١ الكتاب المقدس)

١٠ ـ الآن حدث (حدث ذات مرة) فى السنة الثلاثين فى الشهر الرابع فى يومه الخامس (سفر

حزقيل ١:١ الكتاب المقدس)

إذا لم تربكك هذه الأمثلة وتحيرك فلن يوجد شيء آخر يمكن أن يفعل ذلك.

لابد أنك حتما اصطدمت بعبارة «ذات مرة» هذه المتزامنة. لاشك أنك تعرف ولع الانسان بحكاية القصص. الطريقة والنمط وطريقة السرد هي ماأتحدث عنه. إنها تبين كيف يفكر الإنسان وكيف يتكلم وكيف يكتب ولا لوم عليهم في ذلك فالانسان هو الانسان.

كل الاقتباسات السابقة هي من نسخة الملك جيمس وهي الأكثر شيوعا بين كل مسيحيي العالم. لابد أنك لاحظت أن كل الآيات في الاقتباسات السابقة هي ١:١ ، ١:١ وهذا معناه أنها الإصحاح الأول والآية الأولى من كل كتاب من الكتاب المقدس والذي يبدأ دائما بكلمة الآن، الآن، الآن، جرب بنفسك وشاهد كم

عدد البدايات المشابهة التى سوف تجدها، لابد على أى حال أن أنبهك أن فهرست الكتاب المقدس سوف لا يساعدك، يجب أن تمر خلال صفحات الإنجيل بنفس الطريقة التى اتبعتها أنا فى ذلك.

الفهارس لا تساعد

أنا أشير بفهرسين. الفهرس الذى أصدرته جماعة شهود جيهوفا وهى أسرع الطوائف نموا فى العالم المسيحى، والثانى هو فهرس يانج التحليلى للإنجيل كلا الفهرسين يعتز بأنه يحتوى على ٣٠٠٠٠٠ مادة والأخير يحتوى على ما لايقل عن ٢٧٧ مرة كلمة الآن، لا أريد أن أحملك مزيدا من الصبر أعلم أنك تريد أن أتقدم نحو الموضوع الرئيسى لإعجاز القرآن. أنت تقول حسنا.. أرجو أن تخبرنا عن قصتك حول الوحى القرآنى!

«لقد كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان

حيث كان محمد نبى الإسلام (صلى الله عليه وسلم) فى غار حراء من ضواحى مدينة مكة. كان معتادا على الاختلاء بنفسه فى غار حراء من ضوضاء المدينة وأهلها للتأمل فى هدوء وسلام. كان قلقا بسبب مشاكل قومه من سكر وفجور ووثنية وحروب وفوارق طبقية ظالمة وقاسية. كانت هذه الجرائم والآثام من الضخامة لدرجة أن جيبون أستاذ التاريخ كان مضطرا لأن يقول فى كتابه «انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية»:

«الإنسان العربى الوحشى كان يعيش غالبا بدون إحساس، فقير فى أى مميزات تجعله مختلفا عن بقية المخلوقات الحيوانية». المتنسك فى عار حراء كان يتوق إلى حل. وكان نزاعا إلي الاختلاء فى معتزله غالبا بمفرده وأحيانا مع زوجته العزيزة أم المؤمنين السيدة خديجة.

الهاتف الأول

فى أحد الليالى.. وهى ليلة القدر ـ ليلة خير من ألف شهر عندما تنزل رحمة الله على الخلائق وتتعلق الأرواح بربها. فى منتصف هذه الليلة فتح كتاب الله للروح المتعطشة. جبريل، ملاك من عند الله ظهر له وأمره بلغته العربية «إقرأ». أحس محمد بالخوف والرهبة ولم يكن مستعدا لهذه الصدمة فلم يكن هناك تدرجا فى ظهور الوحى له وفى خوف ورعب صاح قائلا ما أنا بقارىء وأعاد الملاك أمره «إقرأ» للمرة الثانية وأجاب محمد صلى الله عليه وسلم بنفس الإجابة. وضمه جبريل بقوة وأمره للمرة الثالثة:

"إقرأ باسم ربك الذى خلق"

وتحقق محمد صلى الله عليه وسلم من أن المطلوب منه أن يفعله هو أن يكرر مايقال له لأن الكلمة العربية إقرأ تعنى إقرأ واتلو وكرر، وأتبع هذه الآية السابقة وهى الأولى من سورة العلق (سورة رقم ٩٦

من القرآن الكريم) بأربع آيات أخرى تلاها على محمد صلى الله عليـــه وسلم فى الوحى الأول ومن ثم هى مسجلة هنا ومكتوبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - إقرأ باسم ربك الذى خلق

٢ - خلق الإنسان من علق

٣ - إقرأ وربك الأكرم

٤ - الذى علم بالقلم

٥ - علم الإنسان مالم يعلم

أمسك ياسيد ديدات، كل هذا الذى تخبرنا به عن وحيك القرآنى لا يختلف عن أمثلتك العديدة الأخرى التى أوردتها لتبــرهن على أن يد الإنســان تدخلت فيها.

تماما أنا سعيد لأنك رأيت بوضوح كيف يفكر عقل الإنسان المتعلق دائما بالفاعل وكيف يتكلم ويسجل.

منذ اللحظة التى سألتنى فيها.. من فضلك أخبرنا عن قصتك عن وحيك القرآنى وبدأت أجيب:

«إنه كان فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ..... » الى أن قلت ومن ثم هاهى مسجلة هنا ومكتوبة فقد عرفت أن كلماتى مقتبسة من القرآن الكريم ومن كتب الحديث الشريف والتاريخ ومن أفواه العلماء والتى سمعتها خلال سنوات حياتى. فالقرآن الكريم لم تعبث به أيدى الرجال. وهذا هو المقصود بأنه كتاب محفوظ.

فريد فى صياغته

كل نصوص القرآن سواء كانت عربية أو مترجمة إلى أى لغة ستكون على نفس النمط.. لا يوجد فيها إذا كان أو لكن. لن تجد فى النص الأصلى أو الترجمة أن محمد (صلى الله عليه وسلم) «كان سنه أربعين سنة عندما تلقى الوحى الأول» لن تجد «كان فى غار

حراء» لن تجد.. رأى الملاك جبريل أو «هو كان خائفا أو كيف تصرف أو أجاب على الأمر «إقرأ» أو عندما انصرف الملاك بعد أن أكمل الآيات «محمد جرى إلى منزله ثلاثة أميال جنوبا نحو مكة الى زوجته العزيزة خديجة وروى لها ماحدث وسألها أن تغطيه، أن تغطيه. كل هذا هو ماأسميه طريقة «حدث ذات مرة».

سرد القرآن ليس فيه هذا إنه سرد فريد بصورة مطلقة كما أنه فريد فى حفظه من تدخل الرجال.. بالاختصار هو إعجاز.

هو بخلاف الأسلوب الأدبى البشرى حيث يبدأ كل شيء بالبداية، الكلمة الأولى والآية الأولى فى الوحى القرآنى ليست هى السورة الأولى والآية الأولى لكنها تحتل رقم ٩٦ فى ترتيب سور القرآن حسب تعليمات الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم. لا يوجد

كتاب دينى فى العالم كله يتبع هذا النمط لأنه ليس هناك وحى آخر حافظ على نقائه منذ أن نزل حتى الآن.

عالم نفسى كندى

لقد كان لى شرف مشاركة أفكارى عن الوحى الأول لمحمد صلى الله عليه وسلم كما هو مسجل فى الخمس آيات الأولى من سورة العلق مع شاب من كندا. كنت أتحدث معه ونحن فى رحلة إرشادية الى أكبر مسجد فى نصف الكرة الجنوبى وبينما كنا نتحدث سألته عن مهنته فأخبرنى أنه كان يعد رسالة فى الدراسات العليا لعلم النفس بعد تخرجه من الجامعة. فقلت له وأنا ألفت انتباهه إلى الخمس آيات الأولى من سورة العلق سائلا «كيف يعلل رسالة وتجربة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن القراءة والكتابة والعلم، بأشياء لم تكن معروفة من قبل، ولا تمثل مشكلة له أو لقومه. كيف يمكن لعقل

ذاتى بشرى كما لو كان آتيا من مكان آخر يتلو هذه الآيات. قلت له أرجو أن تعطى تعليلا لذلك. فقال لا أستطيع. اعترف أنه عاجز عن إعطاء تعليل لذلك، فقلت فى هذه الحالة يجب علينا أن نقبل كلمات الرجل التى قالها سببا لذلك وشرعت أتلو الآيات الأولى من سورة النجم:

"والنجم إذا هوى، ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى" (سورة النجم: ١ ـ ٥).

ومحمد صلى الله عليه وسلم أمر أن يقولها المرة بعد المرة للناس "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد" (الكهف ـ ١١٠)

الشاب الكندى أجاب بأدب: «سأعطى هذا الموضوع حقه من التفكير الجاد».

إذا عودنا أنفسنا على التعامل مع حقائق القرآن

سنكون قادرين على فتح مجالات الحديث مع أى متخصص فى فروع العلم.

معجزة فى الإعلام

لأن المركز الإسلامى العالمى لنشر الدعوة الإسلامية بجنوب افريقيا نشيط كخلية النحل فإنه يجذب كثيرا من الناس للحوار والمناقشة بما فى ذلك رجال الصحافة والإعلام. وبمجرد أن اكتشف أن المقابلة صحفية أخبر صاحب المقابلة أننى أود أن أعرض عليه أن القرآن معجزة إعلامية. والكل يقبل على الاستماع إلى وجهة النظر هذه. وأبدأ بقصة سيدنا موسى عليه السلام بطريقة ونموذج «حدث ذات مرة» فلا تبدو القصة قوية التأثير، فلا يستطيع تحمل الإسراف فى التفاصيل الخاصة بموسى وأعشاب نبات البردى، ولا حتى تفاصيل طفولته وأمه وأخته فى القرآن الكريم (سورة طه الآية: ٣٨: ٤٠، سورة القصص:

٧ ـ ١٣) تخطيت التفاصيل وبدأت بـ:

حادث المدينة

موسى عليه السلام رأى رجلين يقتتلان، أحدهما من شيعته والآخر من أعداء قومه. فأراد أن يساعد اليهودى فى مواجهة المصرى، وفى الاشتباك صفع الظالم بشدة لدرجة أنه مات.

وهرب موسى عليه السلام من المدينة إلى سيناء فوجد نفسه بين أهل مدين، وهناك ساعد فتاتين فى حاجتهما إلى الماء، وحصل على عمل من والدهما شعيب. وبعد أن أكمل عقد عمله بعد أكثر من ثمان سنوات، بدأ موسى يشعر بالملل من بقائه فى الريف. وبالنسبة لرجل مثله تربى فى حياة ملكية وسط سرعة وصخب المدينة، أصبح يتململ من حياة الريف الهادئة التى تسير على وتيرة واحدة. أراد التغيير وطلب الاذن من حماه أن يصبح مستقلا. وشعيب كان رجلا

عمليا وعاقلا فأعطى موسى الإذن للمغادرة.

موسى يبدأ الرحلة

غادر موسى عليه السلام مع زوجته وأولاده مع نصيبه من الماعز والأغنام التى كان يتعهدها لحماه.

وبعد قليل من الوقت، وجد نفسه مع عائلته فى وسط سيناء. وقد فقد الطريق من آخر منزل نزل فيه للراحة، ونفد منه الزاد الذى كان يحمله من اللحم. ولم يبق معه سوى الماتزو وهو خبز جاف يستخدمه اليهود. المشكلة كانت فى اللحم. كان عليه أن ينحر أحد الخراف أو الماعز. وهذا أمر سهل لكن الصعوبة فى الحصول على النار التى تحتاج إلى عمل شاق. يمكن أن يظل نصف النهار يحاول الحصول على شرارة من حك حجرين متماثلين. من الواضح أنه لم يكن هناك أعواد ثقاب فى تلك الأيام. أخذ يسوف ويؤجل العمل اليوم وغدا لعل مشكلة اللحم تحل.

أين المعجزة التى وعدت بها ياسيد ديدات؟

حتى الآن لم أقدم إلا خلفية القصة فقط. المعجزة هو تركيز كل هذا وأكثر فى أربعة آيات جامعة موجزة محكمة. أربعة جمل قصيرة فى أجمل صياغة. ولكى تقدر المهارة سوف أوجه انتباهك لما أبغى أن تلاحظه فيما يبدو لى ذروة الكمال الإعلامى.

الإعلانات الصحفية

يقع مسكنى على بعد ثلاثين كيلو مترا شمال مدينة دربان حيث يوجد مكان عملى. وقبل إنشاء طريق سريع يوصل بمدينة دربان، كنت معتادا على ارتياد الطريق الساحلى إلى دربان. وكان هذا الطريق يجعلنى أمر أمام منحدر عند مدخل مدينة دربان، وعند مرورى على هذا المنحدر كنت ألاحظ بانتظام بائع جرائد يعرض جريدة الصباح «ذى ناتال ميركورى» للبيع وكان يعلق يوميا إعلانا بالخطوط

العريضة للأخبار لجذب المشترين. وكنت كلما قرأت هذه الإعلانات أغير رأيي في شراء الجريدة في هذا اليوم. وعندما كنت أقوم بوضع سيارتي داخل الموقف في دربان وأمر على بائع جرائد آخر كنت أشترى الجريدة برغم ذلك.

وبعد العديد من المرات التي كنت أغير فيها قراري هكذا، بدأت أفكر وأسأل نفسي عن سبب هذا التغيير، فاكتشفت انه بالرغم من أن الصحيفة كانت هي نفسها إلا أن طريقة العرض كانت مختلفة. فطريقة العرض عند الشاطيء كانت تهدف إلى جذب الزبون الأوروبي بينما طريقة العرض في المنطقة الأخرى كانت موجهة للطائفة الآسيوية وبتوسيع مجال العرض الصحفي ليشمل الأمور التي تهم الإفريقيين والملونين أمكن اجتذاب هؤلاء لشراء نفس الجريدة. لذلك فالعرض الصحفي الناجح هو ذلك العرض الموحد

الذى يجذب الغالبية العظمى من الطوائف المختلفة كل يوم.

هذه هى قمة النجاح فى العمل الإعلامى، ولاشك أن كل الصحفيين وافقونى على ذلك. دعنا إذن نحلل الإعلام القرآنى وفق هذه القاعدة.

القران يوجه نداءه للجميع

نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم كان فى المدينة محاطا باليهود والمسيحيين والمسلمين والمشركين والمنافقين. نبى الله كان يعلن أنباءه (الوحى الإلهى) لكل هذه المجموعات المختلفة. ماذا يقول فى عرض هذه الأنباء. ليجذب إنتباه كل هذه المجموعات المتنافرة؟ لقد أوحى الله تعالى إليه أن يعلن "وهل أتاك حديث موسى؟" يمكنك أن تتصور مدى التأثير؟ اليهود والمسيحيون ينتظرون المزيد من السماع يتوقعون من محمد صلى الله عليه وسلم أن يقع فى الخطأ مقدرين بينهم وبين أنفسهم أن هذا الأمى لايمكن

أن يعرف شيئا عن موسى وقصته. والمسلمون متعطشون للمعرفة الحقيقية من خلال الوحى الإلهى الصادق وهم تواقون لمعرفة كل شىء عن نبى الله موسى عليه السلام.

المشركون والمنافقون يلوكون بألسنتهم مستمتعين بالانتقال بالحوار بين المسلمين والمسيحيين واليهود عن موسى عليه السلام محاولين ايجاد فرصة للوقيعة والتناقض. الكل يصغى السمع فى انتباه شديد ومحمد صلى الله عليه وسلم يتابع إعلان الوحى "إذ رأى نارا".

يمكنك أن تتخيل الأحداث كأنها أمامك ومحمد يتحدث تليغرافيا. لقد احتاج الأمر إلى ألفى عام بعد المسيح عليه السلام لكى تصل الولايات المتحدة الأمريكية (أكبر وطن للمسيحيين واليهود) إلى درجة الكمال فى مجال صياغة شعار الإعلان. ففى

إرشادات «شركة الاتحاد الغربى للإعلانات» تقول الشركة لمندوبيها «لا تكتب إعلانا أكتب تلغرافا!» فى أى مدرسة صحفية تعلم محمد لكى يتسيد هذه الطفرة الأمريكية.

ويستمر الوحى الإلهى.

"فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى"

إختزال حاسم

من فضلك قارن الآيات السابقة مع أى ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم، ترجمه بواسطة صديق أو خصم وستجد نفس الإيجاز والاقتصاد فى الكلمات.

ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يجرى تجارب على مدى الإحكام والضبط فيما يقول، ولكنه كان يبلغ كلام الله كما همس به إليه فى قلبه وعقله بواسطة الملاك جبريل عليه السلام. يجب أن نتذكر أنه

لم يكن هناك إنجيل عربى فى القرن السادس من التقويم المسيحى عندما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلوا القرآن.

الآن قدم هدية. من فضلك أجر مقارنة بين هذا الوحى القرآنى والقصة الواردة بالكتاب المقدس، الكتاب الثانى سفر الخروج الاصحاح ١ ، ٢ ، ٣ التى تعرض هذه الفترة من حياة نبى الله موسى عليه السلام والتى نتدارسها. وأنا هنا أقتبس بداية القصة من الكتاب المقدس.

«وهذه أسماء بنى اسرائيل الذين جاءوا إلى مصر مع يعقوب جاء كل إنسان وبنيه رأوبين وشمعون ولاوى ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتال وجاد وأشر وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسا ولكن يوسف كان فى مصر.

(سفر الخروج ١:١ ـ ٥)

موسى يبدأ المهمة:

فكر ببساطة هل هذه هى طريقة الله فى الحديث؟

أرجو أن تقارن هذه الآيات الخمسة من الكتاب المقدس مع الآيات الأربع من القرآن الكريم الآتية بعد.

استمرارا مع القصص القرآنى، فإن موسى كان متوقا إلى شيئين خلال مسيرته مع عائلته وقطيعه فى سيناء. فقد كان يبحث عن النار ليطهوا بها اللحم، ويبحث عن الطريق إلى مجتمع إنسانى فى الصحراء يجد عنده الضيافة. ويفصح الله عن خطته بتكليف موسى بحمل الدعوة بالتدريج. فموسى كان يعد من قبل الله لمهمة الدعوة إلى الله. ومن وهم إشعال الفحم إلى حقيقة اشعال الأرواح البشرية بنور الهداية الروحية لآلاف السنين، وتوجيهها التوجيه الصحيح لخير الجنس البشرى.

النار التى رآها موسى لم تكن نارا عادية. بالنسبة له كانت بمثابة نار متقدة يمكن أن يأخذ منها شعلة فيستخدمها فى عمل نار يطهو عليها طعامه، كذلك

فهى تشير الى وجود بشر يمكن أن يحصل منهم على المعلومات التى تهديه الى الطريق.

«فلما آتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى».

التاريخ الروحى للنبى موسى عليه السلام يبدأ من هنا وكان هذا هو مولده الروحى.. فى اصطلاحات الكتاب المقدس «اليوم أنا أنجبتك» هكذا تكلم الله مع داوود عليه السلام فى مثل هذا الموقف فى المزامير ٢:٧.

الجزء القرآنى السابق مملوء بالمعانى الروحية العالية التى تنبثق من الآيات القصيرة المنتظمة الايقاع فى الأصل القرآنى. كلا من الايقاع المسجع والمعنى العميق فى القرآن الأصلى هو موطن السر الإعجازى. ولتكون المقارنة أسهل أقدم لك الآيات الأربع متتابعة.

"وهل أتاك حديث موسى، إذ رأى نارا فقال لأهله

امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى، فلما آتاها نودى ياموسى، إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى"

(طه: ٩ ـ ١٢)

وطوى وادى فى طور سيناء حيث استقبل فيه موسى الشريعة وقد أمره الله أن يخلع نعليه ومعنى ذلك كأنه خلع مصالحه الدنيوية وأى شيء له فائدة دنيوية لأن الله العلى قد اختاره لرسالته.

الفصل الرابع

كتاب البرقيات الإعجازية

القرآن الكريم من الممكن وصفه بأنه كتاب البرقيات الإعجازية. فهكذا أوحى الكتاب فى صورة رسائل تلغرافية موجهة كجواب على الأسئلة.

الخمر والميسر

قال الله تعالى: "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون" (البقرة - ٢١٩)

القرآن والحديث

الآية السابقة هى مجرد نموذج واحد للطريقة الإلهية فى توجيه الحديث وستأتى الأمثلة تباعا. هل يمكن لأى باحث عن الحقيقة بإخلاص أن يجد طريقة أكثر ملاءمة وسهولة؟ الإجابة بالطبع لا.. الله أيضا يحاور

المتمردين بالحجة بهذه الكلمات "قل هل يستوى الأعمى والبصير" (الرعد ـ ١٦)

بالطبع لا.

والآن قارن الكلمات السابقة لله العلى القدير فى موضوع الخمر (المسكرات عموما) مع كلمات رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم. لا ننسى أن الآية السابقة (البقرة ـ ٢١٩) والحديث الآتى بعد مسموعين من شفتى النبى صلى الله عليه وسلم ونقلهما عنه أصحابه.

ففى حديث عن أنس (رضى الله عنه) أنه قال «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شارك فى انتاج أو استهلاك أى نوع من المشروبات المسكرة.

هو يقول:

١ ـ ملعون من زرع العنب بقصد التخمير.

٢ ـ ملعون من يبيعها.

٣ ـ ملعون من يعصرها.

٤ ـ ملعون من يعبئوها.

٥ ـ ملعون من يشربها.

أو كما قال»[١]

نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أيضا «ما أسكر كثيره فقليله حرام».

ليس هناك عذر فى الإسلام لرشفة أو جرعة بخلاف نصيحة بولس إلى تيموثى:

«لا تشرب فيما بعد شراب ماء بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة»

(اتيموثى ٥:٢٣)

أو وصية سليمان وهى توصية فكهة تصلح

(١) نص الحديث: عن أنس رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم» لعن فى الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشترى له» رواه ابن ماجه والترمزى.

لاستعباد والتحكم فى شعب مقهور.

«أعطوا مسكرا لهالك وخمرا لمرى النفس يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد».

(الأمثال ٣١: ٦: ٧)

حتى لا تنسى من فضلك أنظر مرة أخرى فى النص القرآنى وكلمات حديث النبى صلى الله عليه وسلم السابقة وسوف لا يسعك إلا أن توافق أن الاثنين مختلفان فى الأسلوب والبناء والجلال بالرغم من أن كلاهما قد خرج من نفس الشفاه.

ومثال آخر لإجابة تليغرافية (برقية) لسؤال عن الأهلة.

"يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج"

(البقرة: ١٨٩)

«كان هناك الكثير من الخرافات المتصلة بالأهلة (الصور المختلفة للقمر) كما هو الحال حتى يومنا

الحاضر. لقد أمرنا ألا نلتفت إلى مثل هذه الخرافات. ويستخدم التقويم الهلالى لقياس الزمن، والأهلة تعتبر مؤشرا عظيما لمعرفة الشهور يترقبها الناس في لهفة، فالمناسبات الإسلامية المختلفة بما فى ذلك الحج تعرف ويتثبت منها بمولد الهلال الجديد»

(على يوسف على)

تلغراف (برقية) مماثل للسؤال عن الإحسان

"يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فإن الله به عليم"

(البقرة ـ ٢١٥)

ثلاثة أسئلة مثارة عن الإحسان

١ ـ ماذا نعطى؟

٢ ـ لمن نعطى؟

٣ ـ كيف نعطى؟

والإجابة هنا إعط أى شىء، بشرط أن يكون صالحا ونافعا ومفيدا وله قيمة. ممكن أن يكون مالا، ممكن أن يكون مد يد المساعدة على إنجاز شىء، ممكن أن يكون نصيحة مفيدة، ممكن أن يكون كلمة طيبة "وماتفعلوا من خير" فهو إحسان، وعلى الناحية المقابلة إذا ألقيت بشىء نافع فليس هذا إحسانا، أو إذا فعلت شيئا بقصد الإضرار والإيذاء مثل أن تعطى سيفا لرجل مجنون، أو أن تعطى دواء أو حلوى أو نقود لشخص ما تريد أن تستدرجه وتوقع به، فهذا ليس إحسانا ولكنك تعطيه عذاب الجحيم.

لمن تعطى؟

قد يكون العطاء محاولة لكسب المدح والثناء من الناس لعطيتك التى سوف يتحدثون عنها. ولكن هل بدأت بالوفاء باحتياجات من لهم الحق الأول عليك؟

إذا لم تفعل فأنت كمن يسلب مال الدائنين لتعطيه للآخرين، وليس هذا إحسانا يجب ألا يكون الدافع إلى العطاء هو الغرض الشخصى وأن يكون المتلقى للعطية محتاج إليها فعلا، وهذه النقطة إذا لم تضعها فى اعتبارك فإن الدافع إلى العطاء هو الغرض.

كيف نعطيها؟

مادام الله مطلع عليها فيجب أن تكون بعيدة عن كل تظاهر واستعراض ورياء»

(على يوسف على)

محمد صلى الله عليه وسلم تلقى تلغرافا آخر فى إجابة لسؤال عن طبيعة:

الروح

"ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وماأوتيتم من العلم إلا قليلا" (الاسراء ـ ٣٥)

لا أستطيع إلا أن أؤكد باستمرار أن السرد القرآنى

يختلف كلية عن أى كتاب آخر على سطح الأرض، إنه يتحدث بطريقة مباشرة وفى الصميم. ليس فيه لو.. ولكن.. ولا مراوغة ولا يحوم حول الموضوعات. وفى كل الكتاب لن تجد النص المسرحى الذى يصلح «لشباك التذاكر»، أو لفيلم يضرب الأرقام القياسية مثل «الوصايا العشر» و«شمشمون ودليلة» ليكون مادة إنتاجية للشاشة الفضية للسينما. ومن هذه الناحية فإن الكتاب المقدس مادة مبهجة لكتاب النصوص الفلمية والمسرحية يمكن تحويلها بسهولة إلى قدور من الذهب.

وقبل أن نترك هذه النقطة دعونى أذكر قرائى أن ابحثوا كما تشاؤون بين دفتى الكتاب، فلن تجدوا حتى اسم والد ووالدة الرسول عليه الصلاة والسلام. لن تعثروا على أسماء زوجاته أو بناته أو أسماء صحابته المقربين. بالرغم من أنك تجد سورة كاملة عن السيدة

مريم عليها السلام أم عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم. وعيسى عليه السلام ذكر فى كتاب الله خمس وعشرون مرة، بينما اسم النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر إلا خمس مرات. ما السبب؟ هل لأن عيسى وأمه أهم من محمد (عليهم جميعا صلاة الله وسلامه) ؟ لا ليس كذلك إذا لماذا هذه التغطية الاعلامية غير العادية. ببساطة لأن نزاهة عيسى وأمه كانت فى حاجة إلى دفاع. كان هناك العديد من الاتهامات الزائفة للأم وابنها كان لابد من دحضها لذلك فإن قصة بشارة الملاك والحمل بلا دنس ومولد عيسى عليه السلام لابد من تسجيلها. لم يكن نسب محمد صلى الله عليه وسلم فى أى وقت موضع سؤال. لذلك لم تذكر كلمة واحدة فى كل الكتاب عن مولد محمد أو نسبه. القرآن ليس كتابا عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم. هذا شىء يصعب على غير المؤمنين فهمه.

دعنا نعطى مثالا آخر لرسالة تلغرافية (برقية) من الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى موضوع يوم القيامة وهو :

الساعة

"يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة" (الأعراف ـ ١٨٧)

يستحق منا الاهتمام أن نقارن هذه الآية الواحدة السابقة بالإصحاح الثالث عشر كله من إنجيل مرقس والذى يستخدم السبع وثلاثين آية فى كل الإصحاح ليصل إلى نفس النتيجة التى وصلت إليها الآية الواحدة السابقة. اختبار بسيط لتميز صنع الإنسان من كلمات الله. ستجد القرآن خال من التكلف والإسهاب.

أمثلة أخرى كثيرة يمكن تقديمها من كتاب الله

للبرهان على أن طريقته فى السرد ليست هى طريقة البشر. إنه كتاب فريد بصورة مطلقة. فى الحقيقة يمكن كتابة مجلد كامل فى هذه النقطة بذاتها. وعلى كل حال سوف نختتم هذا الفصل بمثال أخير من القرآن الكريم. إنها سورة قصيرة قياسية من أربع آيات. والآيات الأربع مجتمعة أقل فى عدد الكلمات من الآية السابقة الواحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قل هو الله أحد ٢ - الله الصمد ٣ - لم يلد ولم يولد ٤ - ولم يكن له كفوا أحد.

فى الترجمة الإنجليزية ستجد خمس آيات بدلا من أربع لأن ترجمة على يوسف على تعتبر بسم الله الرحمن الرحيم آية. وفى التعليقات من رقم ٦٢٩٦ الى ٦٣٠٠ ستجد تعليله لذلك ومن الممكن أن نتفق أو نختلف حول ذلك، لكن كلمات الله هى النسخة

العربية وهى المرجع والترجمة الإنجليزية مقبولة فقط كأحسن محاولة بشرية للترجمة.

إمتحان حاسم لمصداقية الدين

حسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن المسلم إذا تلى الآيات الأربعة السابقة بصيغتها الأصلية (العربية) ثلاث مرات فكأنه قرأ القرآن بأكمله. فما الذى يجعل لهذه السورة القصيرة هذا القدر العظيم؟

ليس الصوت أو الموسيقى لهذه السيمفونية الفريدة والتى تحرك فى النفوس نشوة الروح والدموع. إنها الرسالة، الإمتحان الحاسم للدين هو الذى يعطيها هذه المنزلة الرفيعة. ليس هناك حقيقة لاهوتية أو مفهوم عن الله يمكن أن يكون خارج نطاق هذه الآيات الأربعة. إنها المحك الذهبى (Touchstone) لمعرفة الله. فمن خلال هذه الآيات يمكنك قبول أو رفض أى فكرة عن الله وأن تعرف الحق من الباطل. إنها تماما

مثل محك الذهب الذى يستخدمه الصائغ فى اختبار الذهب إذا كان لك صديق صائغ فاسأله كيف يعمل محك الذهب؟ لتعرف كيف يفعل محك الذهب القرآنى، سورة الإخلاص.

كانت هناك ترتيبات تعد لى لزيارة زامبيا لإلقاء عدة محاضرات فى منتصف عام ١٩٧٥. وتلقيت مكالمة هاتفية من لوكاسا بأنهم أرسلوا لى تذكرة الطائرة إلى مدينة دربان حيث أقيم، ويمكننى أخذها من المركز الرئيسى لشركة طيران جنوب افريقيا والتى تقع فى مركز المدينة، وذهبت إلى مكاتب الشركة واقتربت من موظف الاستعلامات المسئول وأخبرته بأنى حضرت لآخذ تذكرتى التى أرسلت من لوكاسا، فأرشدنى أن أتوجه إلى إحدى السيدات وأشار إلى حوالى إثنتا عشرة سيدة يجلسن فى صورة نصف دائرة، كل منهن أمامها شاشة كومبيوتر. ولأن معظمهن كن منشغلات مع عملاء آخرين فقد سألته: أى واحدة منهن؟ وثار الموظف بصورة واضحة وأشاح

بيده وقال فى خشونة «أى واحدة» مشيرا فى اتجاه السيدات الجالسات.فى هذه اللحظة لم أستطع فهم سبب هياج هذا السيد المهذب لسؤالى البرىء والمتواضع. كنت أتطلع إلى استلام تذكرتى التى أعرف أنها مكونة من وريقات فى صورة كتيب مستطيل. لقد فعلت ذلك عدة مرات من قبل، لذلك لم يكن هناك خطأ فيما كنت أحسب. كيف يمكن أن تكون تذكرتى عند كل هؤلاء السيدات فى وقت واحد. لكن اللهجة الغاضبة فى صوت الرجل لم تترك لى فرصة لمراجعته، وتقدمت للبحث عن مزيد من المعلومات حيث أشار. وفى ارتباك اقتربت من أول سيدة رأيتها غير منشغلة بأحد ومستعدة للخدمة وأخبرتها بمهمتى، وهو أننى تلقيت مكالمة أن هناك تذكرة فى انتظارى وعلى أن أتسلمها، فسألتنى عن اسمى فتهجيته لها وهى تكتبه على لوحة المفاتيح التى أمامها ،وكانت تراقب الشاشة بينما هى تضرب

على لوحة المفاتيح. لكنى لم أكن أستطيع أن أرى الكلمات من المكان الذى كنت أقف فيه. وأومأت برأسها وقالت: نعم مشيرة إلى أنها وجدته. فقلت لها أننى أريد أن أغادر دربان إلى جوهانسبرج مساء الثلاثاء، فاقترحت على رحلة الساعة السادسة فوافقت فأضافت بعض الكلمات إلى لوحة المفاتيح، فأخبرتها أننى أريد أن أترك جوهانسبرج لأصل إلى لوكاسا حوالى الساعة الثالثة مساء فى اليوم التالى. كانت هذه تعليمات من إستضافونى هناك، حيث أرادوا أن تغطى الإذاعة والتليفزيون وصولى هناك. فقامت بإضافة بعض الكلمات، وسألتنى إذا كنت أريد الذهاب إلى لوكاسا عن طريق جابون أو مابوتو وأجبتها بأن الأمر سيان مادمت سأصل إلى غايتى فى تمام الساعة الثالثة يوم الأربعاء. فضربت على لوحة المفاتيح مرة أخرى ثم أمعنت النظر فى الشاشة وقالت: «آسفة لأنك حجزت على الخطوط الزمباوية، ولا نستطيع تحويل

التذكرة إلى خطوط أخرى لأننا لا نستطيع اليوم الاتصال بالخطوط الزمباوية لأن لديهم اليوم عطلة بسبب أحد الأعياد الوطنية هناك. وسألتنى أن أعود فى اليوم التالى لاستكمال الاجراءات حيث تكون العطلة قد انتهت».

لا بأس لكنى شعرت بإحباط لأن التذكرة كانت على وشك أن أحصل عليها ولكن لم تكن فى يدى. كنت لا أزال أتخيل أن التذكرة فى درج مكتبها.

الأمور تتضح

ولحيرتى سألتها «من أين حصلت على كل هذه المعلومات؟» فقالت: «من الكومبيوتر الرئيسى فى جوهانسبرج» وكانت من الكرم بحيث أعطت مزيدا من الشرح بأن كل كمبيوتر فى البلاد له نفس هذه الوصلات يمكنه الدخول على هذا الكمبيوتر الرئيسى بمجرد الضغط على مفتاح معين. فسألتها إذا حدث عند محاولتها أن تحجز لى على طائرة الساعة السادسة المتجهة إلى جوهانسبرج وكان هناك مقعد

واحد فقط وكان هناك فى نفس الوقت موظف آخر فى مكان آخر يحاول الحصول على نفس المقعد ماذا يحدث؟ فقالت الشخص الذى يسبق الآخر بجزء من الثانية سوف يحصل على المقعد والآخر سوف لا يجد أمامه شيئا. فشكرتها شكرا جزيلا وغادرت المبنى.

فى طريق عودتى الى مكتبى بدأ عقلى تتوارد عليه الأفكار، وفكرت، هذه هى الطريقة التى حدث بها الأمر أقصد الطريقة التى جاء بها الوحى الإلهى إلى محمد صلى الله عليه وسلم رسوله المختار من «الكمبوتر الرئيسى» اللوح المحفوظ

"بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ"

(البروج: ٢١ ـ ٢٢)

هذا اللوح ليس مثل لوح موسى الذى استخدمه فى نقش الوصايا العشر أى لوح من الحجر. وليس مثل اللوح التى يستخدمه المدرسون فى المدارس والذى يسمى السبورة، وليس لوحا كشاشة الكمبيوتر. إنه لوح يحفظه الله ويحميه ولا يمكن وصفه بطريقة مادية

لانه ليس من مـادة تنتـمى إلى عـالمنا ، إنه شىء روحانى! أما كيف يعمل؟ فإننا نخمن فقط.

مسيحيو نجران

بينما كـان الإسلام يوطد أقدامه فى المدينة، كـانت أخـبـار رسـول الله صلى الله عليـه وسلم تنتـشـر فى الجزيرة فى طول البلاد وعرضها. وكان هناك مجموعة من المسيحيين العرب يعيشون فى نجران، حول اليمن. وسمع هؤلاء أن رجلا عربيا من الجزيرة العربيـة يقول ان وحـيـا إلهـيـا يوحى إليـه وأنـه نبى من قـبل الله يتحدث باسمه. وجاء وفد منهم إلى المدينة ليـمتـحنوا النبى ويناظروا ماعندهم بما عنده وليـختـبروا معرفتـه بالله والأديان عامة.

وعندما وصلوا إلى المدينة نزلوا بمسجد النبى صلى الله عليـه وسلم. بناء بسيط حوائطه من الطين وسقفه من سعف النخيل المسيحيون أكلوا وناموا فى المسجد وتحـاوروا مع الرسـول عن الله لمدة ثلاثة أيام وثلاث

ليال. تفاصيل هذا الحوار تجده فى كتب الحديث.

خلال الحوار، المتحدث باسم المسيحيين ضمن أسئلة أخرى كثيرة طرح سؤال، «قل لنا يامحمد ماهو مفهومك عن الله؟» لم يراوغ الرسول ولم يحم حول الإجابة باحثا عن كلمات وأفكار ليجمع بها رده كما يفعل كل واحد منا عندما لا يكون لديه الإجابة الحاسمة. محمد صلى الله عليه وسلم لكى يتكلم ضغط على مفاتيحه الروحية (ليس هناك مفاتيح مادية ليضغط عليها)، ولكنها مجرد تقريب للفكرة فهو ينشد الإجابة ويجيب من الله خلال اللوح المحفوظ «الكمبيوتر الرئيسى» لكل المعلومات الخاصة بالوحى. إنه يسأل لكى يتكلم «يارب ماذا أقول؟» وتأتى الإجابة:

"قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"

(سورة الإخلاص ـ ١ ـ ٤)

بعد أن تفوه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبارة السابقة عن الايمان الخالص، عادت المحادثة إلى الخطاب المعتاد. ليس هناك عربى يستحق هذه التسمية يمكن أن يفوته التفريق بين النغمة فى الصياغة والحدة فى التعبير بين كل من الخطابين. الكلمات السابقة لم تكن كلمات النبى لكنها كلمات الله. لقد وضعت حرفيا في فمه بينما هو يتلوها. كان يتحدث بلسان الله. هذه المعلومات زود بها فى قلبه وعقله قبل عقد من الزمان فى مكة بطريقة مماثلة للكمبيوتر فى ذلك الوقت كان اليهود يحاولون حثه ليوقعوا به فى موضوع «هوية وأصل الله» ليس مثل الفريسيين الأقدمين الذين كانوا يتتبعون خطوات مسيحهم المنتظر ليشاكسوه. والمثال السابق هو مثال حقيقى عن كيفية إرسال الله وحيه لرسوله المختار وكيف تلقى الرسول هذا الوحى وحفظه وكيف استخدم فمه الطاهر لإعلان هذه الرسالة وكيف أننا أتباع النبى

صلى الله عليه وسلم علينا أن نتشرب هذه الرسالة لنستخدمها فى أمور حياتنا.

فى كل الكتب الدينية فى جميع أنحاء العالم لا توجد أى كتابة يمكن مقارنتها حتى بهذه السورة الصغيرة وهى «سورة الاخلاص». وإذا كانت هذه السورة هى الاختبار الحاسم فى علم اللاهوت والقدرة الإلهية فى تركيز أعظم المعانى فى أقل الكلمات، فبقية القرآن هو تفسير وتوضيح لها ومن خلال ذلك عرفنا صفات الله وتجنبنا تسلل الشرك إلى عقائدنا والذى وقعت فيه الأمم والرجال وهم يحاولون فهم حقيقة الله.

الفصل الخامس

الله متفرد فى صفاته

الله سبحانه وتعالى متفرد تفردا مطلقا فى ذاته وصفاته. ولا يمكن مقارنته بغيره بأى حال من الأحوال وبأى صورة نعرفها أو نتخيلها، كما هو واضح فى الآية الأخيرة من السورة المقتبسة فى الفصل السابق[1].

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه ليس له نظير ولا شبيه. إذاً كيف نعرفه؟ والإجابة نعرفه من خلال صفاته.

الوحى الأخير والنهائى من الله وهو القرآن الكريم أعطانا تسعا وتسعين صفة من صفات الله أولها اسم الجلالة «الله»، وهذه الأسماء التسعة والتسعون تسمى أسماء الله الحسنى، وهى منتشرة خلال كل النص القرآنى كعقد من حبات اللؤلؤ مع الجوهرة الكبرى «الله».

ونقدم هنا قطعة من هذه القلادة:

"هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم". (سورة الحشر ٢٣ ـ ٢٤)

أسماء الله الحسنى

فى الآيتين السابقتين نستطيع أن نعد ثلاثة عشر اسما من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون المنثورة خلال القرآن الكريم. حتى أشد الأعداء عداوة وحقدا على الإسلام سيجدون أنفسهم مضطرين للإعتراف بأن القرآن الكريم حتى فى صيغته المترجمة فإن أوصافه وأسلوبه جميلان ومتفردان. وفى الأصل العربى للقرآن فإن الكلمات والتراكيب تتميز بالتفرد والتسامى المطلقين.

---

(١) آية (ولم يكن له كفو أحد).

كيف يمكن لأمى لا يقرأ يعيش بين شعب أمى غير متعلم أن يستنبط مثل هذه التحفة الأدبية الزاخرة عن الله منذ أربعة عشر قرنا من الزمان؟ يجب علينا أن نتذكر أنه لم يكن هناك دائرة معارف أو نصوص حتى ولو كانت غير صحيحة يرجع إليها محمد صلى الله عليه وسلم فى صحراء الجزيرة العربية. من أين إذن حصل محمد على هذا الكنز فى علم اللاهوت؟ لقد قال أن كل ذلك جاءه من الله عن طريق الوحى. هل يمكن أن يكون هناك تفسير آخر؟ ستكون تجربة جيدة لنا أن نسأل أكثر أصدقائنا علما أن يسرد لنا بعض صفات الله. وأنا أؤكد لك أنه مع كل مالديهم من علم فإن أساتذة اللاهوت والحاصلين على درجة الدكتوراه فى اللاهوت لن يستطيعوا أن يعدوا لنا حتى إثنتا عشرة صفة.

سوف يقول الخبراء الدنيويون «لقد كان محمد

عبقريا، والعبقرى يمكنه أن ينجز عشرة أضعاف مانجزه نحن»، ولهؤلاء أقول «نعم يمكن للعبقرى أن ينجز ماينجزه عشرة منا. لكن النبى صلى الله عليه وسلم أعطانا تسعة وتسعين صفة لله، ومايجعل قائمته إعجازا ووحيا إلهيا، أنه ترك كلمة أب خارج هذه القائمة إنها معجزة.

الأب السماوى

أى كاتب يحاول أن يضع قائمة بشرية بصفات الله فسيكون فى بدايات قائمته كلمة أب، ومعجزة قائمة محمد صلى الله عليه وسلم ليست فقط فى الصفات التسعة والتسعين ولكن فى كونه أبعد هذه الصفة (الأب) بالذات عن القرآن. كلمة الأب كصفة من صفات الله كانت تتردد أمامه خلال سنوات نبوته الثلاثة والعشرون التى قضاها فى تبليغ الدعوة، لكنه نحاها أبعدها عن مجموع الصفات التى يستخدمها

عامة ولمدة تزيد عن العقدين من الزمان وبالتالى من علم اللاهوت الإسلامى ومن حقك أن تسألنى: وماذا عن صلاة المسيحيين؟ نعم ماذا عن هذه الصلاة؟ إقرأها ياسيد ديدات لذلك أنا أقرأها:

«ياأبانا الذى فى السماوات، تقدست أسماؤك، ظهرت مملكتك على الأرض كما فى السماوات».

وأنت تسأل «ما الخطأ فى هذا» وأنا أجيب «لاشىء» إذاً لماذا يشعر المسلمون بحساسية من ذلك؟

إننى لست متحيزا مثل خصومنا، وإننى أقر بأن صلاة المسيحيين صلاة جميلة ولكن فيها قصور. سوف لا يتعلم إبنى أبدا اسم الله من خلال هذه الصلاة.. ماسمه؟ فى كل الكتب السبعة والعشرون للعهد الجديد لم يذكر فيها اسم الله ولو مرة واحدة. الأب يذكر هنا كبديل وهذا ليس اسمه. كصفة من الصفات بمعنى الرب أو الإله أو الخالق فليس هناك

إعتراض على ذلك. كذلك الأب المحبوب فى السماء، وأبونا السماوى، طالما كان هناك احتياط فى فهم المعنى. لكن المسلمين يعترضون على المعنى الجديد الإضافى لكلمة الأب.

الابن الوحيد المولود

فى علم اللاهوت المسيحى. هذه الكلمة البسيطة البريئة اكتسبت معنى جديدا. فتبعا للديانة المسيحية كلمة الأب تعنى الذى أنجب ابنه يسوع. هم يقولون فى كتاب الكاتيشزم ـ وهو كتاب يشتمل على خلاصة التعاليم المسيحية على صورة سؤال وجواب ـ «عيسى هو الإله الحقيقى من الإله الحقيقى، مولود من الأب مولود وليس مخلوق».

تبعا للإنجيل فإن الله له أبناء كثيرون. على سبيل المثال آدم، إسرائيل، ابراهيم، داوود، سليمان إلخ ولكن المسيحيين يقولون أن كل هؤلاء أبناء على

سبيل المجاز. الله القدير كخالق ومعز هو الأب المجازى لكل مخلوقاته كل إنسان وحيوان. لكن عيسى (عليه السلام) فى نظر المسيحيون ليس مثل هؤلاء. هو مولود وليس مخلوق. وهذا تبعا للإسلام أبغض ما يقال فى حق الله، أن ننسب إليه طبيعة حيوانية هى أدنى الوظائف الحيوانية.

تغيير المعانى

فى البداية كانت كلمة الأب المنسوبة لله لا تحمل أى كفر أو تحريف أو تداعى للمعانى المرتبطة ذهنيا. ولكن الكلمات تتغير معانيها المقصودة مع الزمن، وسأضرب مثالا بكلمتين وهما كلمتى Comrade (وتعنى رفيق) وكلمة Gay (وتعنى مبتهج) فكلمة Comrade فى أصلها كلمة جميلة وبريئة وهى تعنى صديق أو رفيق أو زميل. وهى مشتقة من الكلمة الفرنسية القديمة Comrade وهى

تعنى المشارك فى نفس الحجر أو الجندى المشارك فى نفس الدفعة.ولكن اليوم تستخدم نفس الكلمة فى العرف الأمريكى للتعبير عن شخص عضو فى الحزب الماركسى اللينينى، أو عن شخص راديكالى (متطرف) يصور على أنه هدام أو ثورى يجب التخلص منه لأنه وباء مؤذى وكائن طفيلى. لو أن أى صديق أحمق دعاك بأنك Comrade (صديق أو رفيق أو زميل) فى الولايات المتحدة الأمريكية فإنه يمكن أن يفقدك وظيفتك بل ربما حياتك.

وكلمة Gay بمعنى مرح أو مبتهج أو سعيد. ماالعيب فى هذه الكلمة؟ لاشىء على الإطلاق. لقد تعلمت هذه الكلمة فى بداية إلتحاقى بالمدرسة على أنها تعنى المبتهج الخالى من الهموم المنتشى بالسعادة. وتعلمت أن أنشد أغنية تقول «السادة السعداء والسيدات السعيدات يبدؤن يومهم بتسلق الجبال».

لقد نسيت وزن القصيدة ولكنى أفهم المراد من معنى كلمة Gay هنا بأنها تعنى السعادة والمرح. لم أكن أتصور أبدا أن يأتى اليوم الذى تأخذ فيه هذه الكلمة ـ التى كانوا يعلمونها لأطفال المدارس ليغنوها ـ معنا فاحشا بذيئا ليكون معناها لوطى شاذ ثنائى الجنس لأول وهلة عند ذكرها. وعلى ذلك يكون معنى السيدات السعيدات بمعنى السيدات الشاذات. بطريقة مشابهة تحولت كلمة الأب المحترمة الموقرة لتصبح محرفة بالاعتقاد (بالابن المولود للأب).

رب أم أب

الله سبحانه وتعالى من خلال محمد صلى الله عليه وسلم حفظ الإسلام والمسلمين باستبعاد هذه الكلمة من المصطلحات الدينية الاسلامية بعد أن أخذت معني مغايرا. إنها حقيقة إعجازية أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل تسعة وتسعين صفة لله

مشتملة على كلمة رب والتى تعنى السيد والمعز والمساند.. الخ.

وكلمة رب مذكورة فى القرآن عشرات المرات. ولكن الكلمة الأسهل نطقا أب لم تستخدم ولا مرة واحدة. وهذا حفظا للمسلمين من التجديف بمثل الابن الوحيد المولود! لمن نقدم التقدير لهذه الحماية. لله أو لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدعى هذا الفضل فهو دائما ينسب الفضل لله ويقول إنما هو مبلغ لما يتلقاه بالوحى فالكلمات التى تسمعها ليست كلماته ولكنها كلمات الله التى أوحى بها إليه.

الفصل السادس

تسوية الخلاف

القرآن الكريم معجزة كبيرة. هو كتاب معجزات يمكن أن يعرض من جوانب لا تحصى. ولقد حاولت أن أشارك فى بعض هذه الجوانب التى بدت لى كرجل غير متخصص والتى بهرتنى، وليس هناك نهاية لمثل هذه الأبحاث. وأترك هذه المهمة إلى إخوتى الأكثر علما والمختصين بالدراسات الاسلامية. وأتمنى أن أعيش لأرى نتيجة جهدهم. دعنى أختتم هذه الدراسة بمثال أخير.

نداء إلى السويد

منذ بضع سنوات شب خلاف فى السويد. الملك سوبوذا فقد مليكته المختارة. وبدأت الكنائس المسيحية فى البلاد تتحدث بالموارية عن موضوع الفترة التى يمكن أن يقضيها الرجل منتظرا قبل أن

يتزوج مرة أخرى. لم تكن المشكلة خطيرة التناول لأن الملك لديه ثمان زوجات أخريات، لذلك تحول الموضوع إلى الفترة التى تنتظرها المرأة بعد موت زوجها. وبينما كانت المجادلة تحتدم بشدة فى المملكة الصغيرة أمر الملك الطيب مجمع الكنائس فى كل البلاد لبحث هذه المشكلة.

السيد موسى بورمان وهو أخ سويدى اعتنق الاسلام طلب الإذن من الملك أن يدخل الإسلام أيضا طرفا فى المناظرة وبموافقة الملك تشرفت بأن أكون أنا أيضا طرفا فى الحوار.

وفى يوم من أيام الأحد صباحا. وفى أحد صالات الاجتماع الملكية وبحضور مندوبين عن كل الطوائف المسيحية اجتمعوا للوصول إلى اتفاق جماعى لموضوع فترة الترمل.

وقام المتحدث إثر المتحدث يدلى بما عنده. وكان المستمعون يصفقون بحماس فى نهاية كل خطبة. ثم يأتى المتحدث التالى ويرفض نهائيا ماقاله سلفه مستخدما تعبير Paalish والتى معناها ثريد يقصد بذلك أن هذا الكلام تافه لا وزن له ثم يقوم بأداء دوره الذى ينتهى بعاصفة من التصفيق، واستمر هذا العرض من الصباح إلى المساء وحوالى الساعة الخامسة بعد الظهر جاء دورى. وقمت وأنا أمسك بنسخة من القرآن فى يدى وبدأت أقول «من الصباح إلى المساء ونحن نلتمس الإجابة عن المدة التى تنتظرها الزوجة بعد وفاة زوجها لكى تتزوج بآخر ولقد سمعنا ماقاله العهد القديم (التوراة) وماقاله العهد الجديد (الإنجيل) ثم ماقاله العهد الجديد وماقاله العهد القديم ولكننا لم نحصل على الإجابة بعد لأن حل المشكلة موجود فى العهد الأخير.

العهد الأخير

وكان ذكر العهد الأخير مفاجأة أذهلت القساوسة والمبشرين، لم يسمعوا من قبل تعبير العهد الأخير طوال حياتهم أبدا، وقلت «الإستشهاد بالقديم والجديد، والجديد والقديم لن يساعد أبدا لأن الإجابة موجودة فى العهد الأخير من الله للبشرية» ولوحت بالكتاب من فوق رأسى وقرأت بالإنجليزية الآية ٢٣٤ من سورة البقرة.

"والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعلمون خبير" (البقرة ـ ٢٣٤)

وسألت المستمعين «أربعة أشهر وعشرة أيام. هل تحتاجون إلى ترجمة من الانجليزية إلى لغتكم المحلية؟ فأجابوا جميعا بصوت واحد «لا» وبدأت

أشرح الحكمة من وراء مدة الأربعة أشهر وعشرة أيام في الآيات السابقة في العهد الأخير والنهائي من الله. لقد أخبرنا عن المدة التي تنتظرها المرأة بعد الطلاق

"والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء".

(البقرة ـ ٢٢٨)

هذا لكي نرى إذا كان هذا الزواج الذي انتهى بالطلاق قد أثمر جنينا في بطن المطلقة. بينما في حالة الترمل توجد فترة إضافية مدتها شهر وعشرة أيام. أمر منطقي ولكن ما المعجزة في هذا. أي رجل عاقل يمكن أن يخمن فترة ثلاث شهور بعد الطلاق وأربعة شهور وعشرة أيام بعد وفاة الزوج. ومحمد صلى الله عليه وسلم يمكنه أن يخمن كأي شخص آخر. هذا صحيح ولكن الدليل على أن كل تعاليمه الصحيحة والمفيدة ليست من عنده ولكن من عند الله هي الآيات التي تلت فترة أربعة شهور وعشرة أيام

حيث يقول الله تعالى:

"ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله وأعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم" (البقرة - ٢٣٥)

حكمة الله:

"لا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله" أى لا تعقدوا الزواج حتى تنتهى فترة الانتظار هذه. هذه ليست مهارة محمد (صلى الله عليه وسلم). هذه هى حكمة الله الحكيم. فالله خالق المخلوقات يعرف مواطن الضعف فيها. فرغبة الرجل وتوقه إلى المرأة قد تدفعه إلى استغلال الأرملة المضطربة المسكينة المكلومة لفقد زوجها. فقد فقدت لتوها عمودها

الفقرى ودعامتها ومورد رزقها. وقد يكون عندها أفواه صغيرة تريد أن تطعمها. وربما تكون قد فقدت جمالها وتدهورت قيمتها فى سوق الزواج. وفى هذه الفترة تريد أن تتعلق بأى قشة للنجاة. وفى حالتها غير المستقرة والمنفعلة عاطفيا يمكن أن يتقدم لطلب الزواج مستغل نهاز للفرص. وفى تسرعها وقلقها قد توافق. ولكن الخالق العالم بالنفوس (وليس محمد صلى الله عليه وسلم) يعمل حسابا لكل الشراك التى قد يضعها الرجال. لذلك فهو يقول "ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله".

وعدة الطلاق ثلاثة شهور ولكنه هنا يضيف أربعين يوما حتى تستعيد الأرملة توازنها ورباطة جأشها وفى نفس الوقت إذا جاءها عرض للزواج يكون لديها الفسحة لمناقشة الأمر على روية مع أصدقائها وأقاربها. وفى هذه الحالة تستطيع أن تتجنب الأخطار

المتسترة واتخاذ القرارات المتسرعة والتى تؤدى إلى تطورات وعواقب مؤلمة؛

هل فكر محمد وعمل حسابا لكل هذه الأخطار المتشعبة منذ أربعة عشر قرنا من تلقاء نفسه. هراء. إنك تعطيه قيمة هائلة فوق طبيعة البشر. لقد أمر أن يكرر مرارا وتكرارا أن هذه الحكم القرآنية ليست من صنعه "إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى" (سورة النجم: ٤ ـ ٥).. إنها من عند الله الخالق الرحيم وإذا كنت لاتزال تشك فى هذه الأدلة. إذاً فواجه التحدى... لقد أوحى اليه.

"قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الإسراء ـ ٨٨)

لقد تحدى العالم أن يأتوا بكتاب مثل القرآن الكريم ولم يأت أحد بمثله خلال أربعة عشر قرنا من

الزمان ولقد حاول البعض تقليد القرآن الكريم فاستعاروا الجمل والكلمات وحاولوا تقليد الأسلوب حتى بسم الله الرحمن الرحيم أخذوها محاولين أن يخرجوا كتابا مقدسا على طريقة القرآن ولكن هيهات.

إن هذه المحاولة برهان آخر على أن القرآن لا يمكن مضاهاته. حاول ماشئت لكن التحدى يظل قائما.

إن القرآن العظيم هو كلمة الله الموحاة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو معجزة المعجزات.

وكما قال القس بوسوبرت اسمث

«وأى معجزة هو حقا».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمد ديدات

هذا الكتاب

- مفهوم المعجزة.
- دليلان على صدق الدعوة من عند الله.
- عبارات الثناء بعيدا عن الحقد.
- حوار مع علماء ملاحدة واثبات وجودية الله عز وجل.
- نظرية الانشطار الكبير.
- أصل الحياة.. وآيات الله.
- القرآن يحض على تعلم العلوم.
- القرآن فريد فى صياغته.
- القرآن كتاب البرقيات الاعجازية.
- امتحان حاسم لمصداقية الدين.
- الله عز وجل متفرد فى صفاته.

١٥٠ قرش